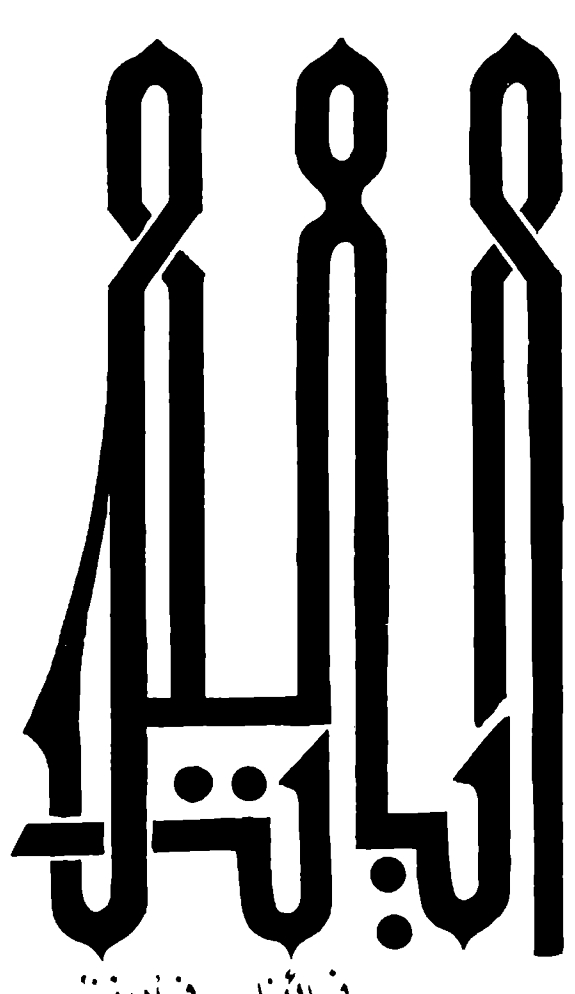
آيات الله

في الآفاق وفي الأنفس



الشيخ هاشم الدباغ

الشيخ هاشم الدباغ



في الآفاق وفي الأنفس

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق
وما الله يريد ظلماً للعالمين

اسم الكتاب: آيات الله في الآفاق وفي الأنفس
المؤلف: الشيخ هاشم الدباغ
تاريخ الطبع: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م
المطبعة:
الطبعة: الاولى في الجمهورية الإسلامية، والرابعة في سلسلة الطبعات.
عدد النسخ: ٣٠٠٠
الناشر: المؤلف

بين يدي الطبعة الرابعة

الحمد لله المتجلي بآياته.. لأهل أرضه وسماواته.

والصلاة والسلام على افضل انبيائه.. محمّد بن عبدالله.. ايده بالباهرات من آياته.

وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

بين يدي القارئ كُتيبان في جلد واحد وهما:

(آيات الله) و **(تعالوا نتذكر الآخرة)** .

طُبعا ثلاث طبعات كلّ على انفراد.. الاولى سنة ١٩٧٧م في بغداد واعيدت بعد سنة.. وثالثة في بيروت.. وجمعا في هذه الطبعة.

يبحث **(آيات الله)** في تثبيت عقيدة التوحيد من خلال تجليه ــ جلّت قدرته ــ في مخلوقاته.. في اصغر ذرة الى اكبر مجرة في هذا الكون.. وفي الخلية الى اعظم مخلوق في الوجود.

باسلوب علمي عصري جديد.. شيق ومفيد.. سهل العبارة.. واضح البيان.. **يفهمه الجميع** .

ويذكّر (**تعالوا نتذكر الآخرة)** باليوم الآخر.. مع بيان احوال الانسان المؤمن وغير المؤمن: في الدنيا.. في البرزخ (القبر).. في القيامة.. في الجنة.. في النار.

والله نسأل ان ينفع بهما

توطئة

يقول سبحانه وتعالى: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم...».

ألم تكن آيات الله واضحة جلية، حتى يظهرها الله فيما بعد؟

ان آيات الله لا تعد ولا تحصى، فبعضها ظاهر جلي، وبعضها مستور خفي، وانه سبحانه يظهر من آياته مايشاء على كر الدهور وتوالي الليالي والايام ـ حسبما تقتضيه المشيئة الالهية والحكمة الربانية ـ فما ظهر من آيات لمن مضى كانت كافية لهدايتهم الى الله وتوحيده، فهو سبحانه يلفت نظر البدوي في العصور الغابرة الى الابل ـ التي كانت تعايشه ـ وآيات الحكمة والتدبير فيها: **«افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت»**. ويخاطب بعدها مباشرة من يأتي بعدهم ممن لديهم امكانات لاكتشاف ما في الكون من آيات الصنع، وبديع النظام، وعظيم القدرة: **«والى السماء كيف رفعت»**.

وفي عصرنا هذا ـ عصر العلم والمخترعات ـ حيث اغتر فيه الانسان بما توصل إليه من علوم و «تكنولوجيا» حديثة متطورة، وانغماس في المادة الى الاذقان، وبعده عن عصر الرسالات السماوية. كل هذه الاسباب جعلته يبتعد عن الله، اضف الى ذلك ظهور الافكار الالحادية، والفلسفات الوجودية، فهو بحاجة الى آيات تناسب الحالة التي عليها.

فقد اظهر تعالى آياته من خلال هذه العلوم، ومن خلال مكونات المادة نفسها، وحتى من خلال اضطراب الافكار الالحادية، وتخبط الفلسفات الوجودية، ليكون لله المثل الاعلى، وتكون كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

يجد القارىء الكريم في هذا البحث الموجز بعض الآيات التي ظهرت في الآفاق وفي الانفس ـ في عصرنا هذا ـ وعلى سبيل المثال لا الحصر، وما خفي اكثر واكثر.

وسنبدأ بالكون ومن اصغر مكوناته «الذرة» والله الموفق والمسدد.

القسم الأول

الآفاق

الذرّة

«ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون».(الذاريات/٤٩)

الذرة هي اصغر جزء في هذا الكون ــ هكذا كان يظن ــ ولكن الاسلام، ولكن القرآن الكريم، كان لهما كلام آخر في ذلك.

فالقرآن الكريم يصرح ويقول: ان لا صحة لما تقولون!.. والحق في غير ما تذهبون اليه!..ايها الناس.. ومن كل شيء خلقنا زوجين.. الذرة ليست اصغر جزء في الكون!..

صدق الله، وصدق رسول الله (ص).. تقدم العلم، بجهود بذلت، وعلماء عملوا، وفجأة يخرون الى الاذقان سجدا لله ــ طوعا او كرها ــ مقرين مذعنين لقوله تعالى: **«ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون»** وقوله سبحانه: **«سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون»**. **(يس/٣٦)**

ماذا حدث ايها العلماء؟!

ماذا رأيتم في هذا الكون، وفي الذرة بالذات؟!

نبئونا بربكم.. اخبرونا.. تكلموا ماذا اراكم العلم؟..

مهلا مهلا.. لا تستعجلوا الجواب.. ولا تذهبن بكم المذاهب، لقد جاءنا من ربنا نور وهدى!.. ايها الناس! الذرة ليست اصغر جزء في هذا الكون، هكذا اخبرنا العلم.

الزوجية ظاهرة في الذرة سواء في عدد «البروتونات» الذي يقابله نفس

العدد من «الالكترونات» وفي الشحنة السالبة تقابلها الشحنة الموجبة. وهكذا تظهر الزوجية في كل شيء غير الذرة، سمها ما شئت: سالب وموجب، حار وبارد، ذكر وانثى، دفع وجذب، وغير ذلك.

الروعة والدقة في الذرة

الذرة تتكون من الناحية المبدئية من ثلاثة اجزاء: «البروتون» في المركز، وله شحنة موجبة، وفي مداره الخارجي يوجد «الالكترون» وله شحنة سالبة، و «النيوترون» وشحنته حيادية، وان عدد «البروتونات» الموجودة في النواة تساوي عدد «الالكترونات» المتواجدة في المدارات الخارجية، وبهذا تتوازن الذرة من الناحية الكهربائية. واما التوازن في الوزن فيقوم به «النيوترون» مع «البروتون» حيث يوازيه بالوزن، فان وزن البروتون على وجه التقريب هو «جزء من مليون مليار مليار» من الغرام، والنترون يقارب هذا الوزن، اما وزن الالكترون فهو يساوي «١ــ١٨٣٧» من وزن البروتون ويعادله في الشحنة الكهربية أما مقدار الشحنة الكهربية لكل منها تساوي «$1/6 \times 10^{-19}$» كولوم، وهناك فراغ هائل بين النواة المكونة من البروتونات والنيوترونات والتي قطرها أقل من قطر الالكترونات التي تدور حولها بـ«عشرة آلاف مرة» وان سرعة دورانها «٣٠٠٠» كيلومتر في الثانية، أو مليوني دورة حول نفسها في الثانية.

فانظر الى عجيب صنع الله جلت قدرته!

أليس في هذا التكوين من العظمة والدقة المتناهية، مايدعو الى الدهشة والحيرة؟!

ألا يدعو هذا النظام البديع في هذا المخلوق المتناهي في الصغر ان نخر ساجدين للخالق العظيم، الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه؟!

اختلاف الذرة

تختلف المادة باختلاف ذراتها، أي ما تحمله كل ذرة من عدد

الالكترونات والبروتونات. فأبسط ذرة «الهيدروجين» حيث تحمل بروتونا واحدا والكترونا واحدا، وهكذا يتدرج بناء الذرات حتى يصل الى «١٠٣» كما وصلت اليه سلسلة «الاكتانيوم».

ان اختلافا بسيطا في الذرات يدهش العقول ويحير الالباب، فمثلا «الهليوم» يحمل اثنين من البروتونات، فهو على شكل غاز من الغازات الخاملة، بينما «الليتيوم» يحمل ثلاثة من البروتونات، فهو على شكل معدن، و من المعادن النشطة.

تغيير بسيط، وهو زيادة بروتون واحد، يجعل العناصر الغازية الخاملة، عناصر معدنية نشطة.

ما هذا اللغز العجيب؟!

هل بامكان العلم[1] والعلماء حل هذا اللغز؟!

كلا ثم كلا، لا يحله الا القرآن الكريم قال تعالى **«وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم»**. **«وكل شيء عنده بمقدار»**.

ان في الذرة الواحدة آيات وآيات تدلنا على عظمة الخالق ــ جلت قدرته ــ فاذا كان قطر الذرة الواحدة يساوي «جزءا واحدا من مائة جزء من السنتمتر». فما عدد الآيات في هذا الكون الفسيح الذي لا يعلم نهايته الا الله ــ عظمت آلاؤه ــ؟. علينا ان نعرف عدد الذرات في الكون، لنعرف من خلالها عدد الآيات، وهيهات هيهات، ان يصل الى ذلك علم البشر.

(١) نحن هنا لا نريد ان ننتقص من قيمة العلم واهميته، ولا نريد ان نقول بأن العلم يخالف الدين، نحن نعتقد ان الدين والعلم توأمان لا يفترقان، يؤيد احدهما الآخر ويعضده، وخاصة دين الاسلام، دين العلم والدليل والبرهان: **«قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»**. **«قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين»**.

ولكن نقول: ان العلم مهما بلغ لا يزال في اوله، وما زال البشر لم يؤتوا منه الا قليلا: «وما اوتيتم من العلم الا قليلا». وفي هذا اغراء للانسان للمضي قدما في طلب العلم واكتشاف مجاهله، وتحذير من الوقوع في براثن الغرور اذا انفتحت له بعض ابواب العلم.

هكذا يقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة العلمية، في وقت جهل الانسان بدقائق الكون، وفي وقت اكتشافه لجوانب منه، على حد سواء:

«ولو أن ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله[1] ان الله عزيز حكيم» .(لقمان/٢٧)

---

(١) كلمات الله: آيات الله.

الأرض

«وفي الارض آيات للموقنين» (الذاريات/٢٠)

لقد رأينا آيات العظمة والتدبير في الذرة ــ فيما مضى من القول ــ وهنا سنستعرض بعض الآيات الباهرات على كوكب الارض.

«ان ما على الارض من تركيبات متشابكة مثل الغلاف الجوي أو المحيطات، أو القشرة اليابسة، كلها يعرفها علماء الرياضيات بأنها اجهزة معقدة، والارض وجميع ما فيها، من غازات وسوائل وجوامد، هي أيضاً كيان مركب كأقصى مايكون عليه تشابك التراكيب. والشمس مع انها اكبر من الارض بمقدار «١٠ ملايين» مرة الا انها ابسط منها كثيرا في التركيب، اذ انها غاز محض، وحتى الكون أبسط من الارض مع انه ــ حتما ــ يضم الآلاف من الكواكب نظير الارض».

كم يجب ان يتواضع الانسان

«الارض كوكب صغير يلازم نجما عاديا هو ــ الشمس ــ يقع في اطراف مجرة من بين آلاف ملايين المجرات».

فكم يجب ان يتواضع الانسان، ويشعر بضآلته امام هذه العظمة، اذا ماعلم بما حوله من نجوم ومجرات لا تعد ولا تحصى، «وان مجرتنا «الطريق اللبني» وحدها تضم اكثر من «١٠٠٠٠٠» كوكب مسكون على غرار كوكب الارض، وان ذكاء الكائنات عليها يمكن ان يضاهي ذكاء البشر او يزيد عليه». على ما ورد في مجلة «لايف» العلمية.

ان محيط الارض عند خط الاستواء يقدر بـ«٤٠١٠٢ كيلومتر» اما قطرها فحوالي «١٢٨٨٠ كيلومتر»، اما وزنها فيقدر بحوالي «٦/٦ الف ترليون طن» وحجمها ١٠٨٥ مليون كيلومتر مكعب». وان عمرها «٤/٥ الف مليون سنة»، وتقطع في سيرها «٦٧٠٠٠ ميل» في الساعة.

تدور الارض حول الشمس مرة كل عام ـ٣٦٥/٢٥ـ يوما تقطع خلال دورانها هذا نحو «٩٦٠٠ مليون كيلومتر»، يحدث من جراء دورانها حول الشمس، الفصول الاربعة، يساعد في ذلك ميل محور الارض بنحو «٢٣/٥» درجة. وان حركة دوران الارض حول محورها يوما كاملا هي المسؤولة عن تعاقب الليل والنهار.

للارض ثماني حركات، تتم في آن واحد.

متوسط بعد الارض عن الشمس يبلغ «١٤٦/٦ مليون كيلومتر»، ويبعد لب الارض عن القشرة بحوالي «٢٩٠٠ كيلومتر» ويقدر سمك القشرة الارضية بعدة كيلومترات، ثم الستار وسمكه «٢٩٠٠ كيلومتر» فاللب الخارجي وسمكه «٢٢١٤ كيلومتر» ثم اللب الداخلي وسمكه «١٢٩٠ كيلومتر».

تقدر درجة الحرارة في قلب لب الارض بـ«١٩٥٠٠٠ درجة مئوية»، وهو أسخن من سطح الشمس بـ«٣٥ مرة».

يغلف جو الارض عدة طبقات، وتكون الدرع الواقي لها، فتمنع عنها المقدار المضر من أشعة الشمس، خصوصا الاشعة فوق البنفسجية، وتسمح بالقدر المفيد من الاشعاعات الكونية الاخرى، وتحيل اغلب الشهب الى رماد قبل ان تصل الى سطح الارض، ومع ذلك فقد تصل الى الارض بعض المذنبات، أو النجيمات والنيازك، ويقدر ما يصطدم بها من النيازك كل يوم بـ«١٠٠ مليون نيزك» وبملايين لا تحصى من الشهب الدقيقة، واكبر نيزك وصل الى الارض يزن نحو «٦٢ طن».

يضاف الى ذلك عزل عالمنا الارضي عن برد الفضاء حيث تحتفظ بالدفء الذي تمنحه لنا الشمس.

والطبقات هذه هي اعتبارا من الطبقة الدنيا «التروبوسفير، الستراتوسفير، الميزوسفير، الايونوسفير، الاكسوسفير».

ان الانسان ليقف امام هذه العظمة حائرا مندهشا، ماذا عساه أن يقول، وكم آية يستطيع تعدادها؟!

أفي آية، حجم الارض، الذي لو تغير قليلا، زيادة أو نقصانا، لما استطاع انسان، أو حيوان، أو نبات، ان يعيش عليها. فبازدياد كتلة الارض تزداد الجاذبية، وبالتالي يتعذر على الانسان وغيره، الحركة والعمل، حيث سيزداد وزن الاشياء، واذا ماقلت كتلة الارض قلت الجاذبية، ومعها لايبقى شيء ساكن عليها ولتطاير وحلت الفوضى والاضطراب في كل شيء على الارض.

اليس كون الارض بهذا الحجم، مقصودا؟ وانه آية تدل على اللطيف الخبير، الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا؟

اليس في حركة دوران الارض حول الشمس آية بل آيات؟

اليس القصد والتدبير ظاهرا في هذه الحركة؟

الا تدل هذه الحركة على ارادة شيء، وهو الفصول الاربعة؟

اصدفة حدثت هذه الحركة فاستفاد منها الانسان؟ وأي صدفة مع هذه الدقة المتناهية، في دورانها حول الشمس، وفي ميل محورها، وسرعة سيرها الثابت على تقادم الازمان والى ماشاء الله؟.

الم تكن آية القدرة واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار في حركة الارض حول نفسها، ليحدث بذلك الليل والنهار؟

«وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون. والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون

القديم. لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون». (يس ٣٧ـ٤٠)

«الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون. وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون». (الرعد ٢ـ٣)

من سخرها في هذا النظام البديع؟

«وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون». (النحل/١٢)

لماذ الليل والنهار؟

«وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا». (الاسراء/١٢)

«هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون». (يونس/٦٧)

جعل الليل للراحة من صخب وتعب نهار كامل، وكمال الراحة والهدوء في العتمة. وجعل النهار للابتغاء من فضله في مزاولة الاعمال، والحركة في كل مجال، ومن متمماتها الضياء.

البعد بين الارض والشمس بهذه المسافة آية، اذ لو قربت الشمس قليلا لانعدمت الحياة على الارض، ولاصبحت الارض جحيما لا تطاق، واحترق الحرث والنسل، ولتبخرت مياه البحار والمحيطات. وفي بعدها الانجماد والموت المحقق لجميع الاحياء.

وكما حفظ سبحانه الارض من الحرارة المهلكة والبرودة المميتة، حفظها

من الاشعاعات الكونية والنيازك والشهب، بغلافها الغازي.

«وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون». (الانبياء/٣٢)

هل لهذا اللغز حل؟

آية نعرضها، ونطلب حل اللغز فيها، وندعوا لذلك العلم والعلماء، والعقول الالكترونية، وكل المخترعات، بل الانس والجن جميعا.

«وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون». (الرعد/٤)

قطعة ارض موات، تسقى بماء واحد، فاذا بها تنبت من كل نوع بهيج، اوراد مختلفة، متعددة الاشكال والالوان، في الوردة الواحدة عدة الوان، بل في الورقة الواحدة ــ التويج ــ يوجد لونان مختلفان أو أكثر، أما الروائح فعدد ولا حرج.

واشجار متنوعة في المنظر والمخبر، انواع لا تعد ولا تحصر، متباينة في الطعم والثمر، هذا حلو المذاق، وذاك خلو منه، وآخر حامضي، ورابع مرٌ لا يذاق. مختلفة في الطول والقصر.

بل تجد اختلاف اللون والشكل والمذاق في الشجرة الواحدة، والنخلة كمثال لذلك:

فأي مقطع ــ عرضي ــ في جذورها يريك عدة طبقات يختلف بعضها عن بعض في كل شيء، ومقطع في الجذع كذلك، وفي جريدها ايضا، وفي الورقة، وفي العرجون.

ولكل من هذه الاجزاء والطبقات غذاؤها الخاص بها.

واما الثمر، فيبدأ ابيض اللون، له طعم خاص، ورائحة خاصة، وبعد مدة، يتغير اللون الابيض الى اللون الاخضر، وكذلك يتغير الطعم والرائحة، ولا

يزال يتغير ويتغير، حتى ينضج، فتجد لكل نوع لونه الخاص وطعمه ورائحته.

وهنا نتساءل، لماذا كل هذه الانواع التي لا تعد ولا تحصى من الشجر؟.

ومن اين كل هذه الالوان في الزهر؟

وما هذه الروائح والعطر؟

وما هذا الطعم في الثمر؟

والماء واحد، وهو عديم اللون والرائحة والطعم، كما يقولون؟!

والارض واحدة، وليس فيها الحلاوة والمرارة، فمن أين اكتسبها الشجر؟!

هل بامكان العلم والعلماء ان يحلوا هذا اللغز؟! وهل في وسعهم الا ان يجثوا امام هذه العظمة ويؤمنوا بالخالق البارئ ويقولوا:

«وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية و جنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون».

(الانعام/٩٩)

اليس في هذا آية باهرة، بل آيات لمن علم وخبر؟

الا يدل كل هذا على الارادة والقصد والتدبير؟

أسحر هذا ايها البشر؟!

ام تسخير العليم الخبير؟

«وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكّرون». (النحل/١٣)

«وسخر لكم ما في السماوات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون». (الجاثية/١٣)

البحر

«وَهوَ ٱلذي سَخَّرَ ٱلبَحرَ لِتأكُلوا مِنهُ لَحماً طَرِيّاً وَتَستَخرِجُوا مِنهُ حِليةً تَلبَسُونَها وَتَرىٰ ٱلفُلكَ مَواخِرَ فيهِ وَلِتَبتَغُوا مِنْ فَضلِهِ وَلَعلَّكُم تَشكُرُون. (النحل/١٤)

يغطي الماء «(٧٠/٨٪)» من الكرة الارضية، والباقي يابسة، هذا اذا بقيت ملايين الكيلومترات من الجليد على حالتها، واذا ما ذابت، فان النسبة ستتغير. وآيات القدرة والابداع في البحر اضعاف ما على اليابسة، لما تحويه البحار من كائنات حية تقدر اضعاف الكائنات على الارض.

الماء اصل الحياة

«وجعلنا من الماء كل شيء حي»

«والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله مايشاء ان الله على كل شيء قدير». (النور/٤٥)

الارض موات من يحييها؟

«اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون». (الحديد/١٧)

وفي احيائها آية:

«وآية لهم الارض الميتة أحييناها واخرجنا منها حباً فمنه يأكلون.

وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم أفلا يشكرون». (يس ٣٤ــ٣٥)

انظر الى العظمة والقدرة الالهية، ارض موات واذا ما أنزل عليها المطر اهتزت وربت وانبتت من كل زوج كريم.

«أولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم. ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين». (الشعراء ٧ــ٨)

فهنا حب، وهناك نخيل واعناب، وفي آخرتين وزيتون ورمان، ومن كل الثمرات، ونبات شتى.

أي سر في هذا الماء، بل أي سحر؟!

أنه سر القدرة الألهية ؟ :

«هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون. ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون». (النحل ١٠ــ١١)

«الذي جعل لكم الارض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فأخرجنا به ازواجا من نبات شتى. كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لآيات لأولي النهى» (طه ٥٤ــ٥٥)

«يتميز الماء بأن له القدرة الفائقة على اذابة العديد من المواد اكثر من أي سائل آخر معلوم، ولولا هذه الخاصية ما كان من المستطاع بقاء أي نوع من الحياة فوق الأرض. ولا غرو فإن الكائنات الحية ــ كبيرها وصغيرها ــ تشبه في عملها المصانع الكيمائية، اذ تتمثل الحياة فيها عن طريق مجموعة متنوعة عجيبة من التفاعلات الكيميائية، لا يتأتى حدوث الكثير منها إلا في حضور الماء، الذي يذيب المواد الداخلة في التفاعل، فيهيئ لجزيئاتها فرص الاتحاد ببعضها البعض، واكثر من ذلك فان الماء يدخل في تركيب كثير من المركبات الكيمائية الموجودة في الخلايا الحية، فيحتوي جسم الانسان مثلا على «٧٠٪» من وزنه ماء، كما

تحتاج صور الحيـاة كلها الى الماء. حتى بـالنسبة للنباتات والحيـوانات التي تعيش على اليابسة».

ومن عجائـب المـاء ان اكثر كثافة يـبلغها عـنـدما تكون درجة حـرارته «٤/٣» مئوية وليس عند الصفر، وهذا مخالف لكل المواد الاخرى، فان كثافتها تزداد بانخفاض درجة الحرارة، وخاصية الماء هذه هي التي تحفظ الحياة في البحر، وتمنـع من حـدوث الطوفان، وحيـث تـقل كثـافة المـاء عند درجة الصفـر المئوي فيطفو على شكل جليد، فيفسح المجال للاحياء المائية في العيش داخل الماء.

أليس الغاية والقصد والتدبير، آيات ظاهرات هنا وجليات؟

الحياة في البحر

يحتوي البحر على كل المجـمـوعات الحيوانية الاسـاسـية من «البروتوزا» البسيطة ــ احادية الخلية ــ الى الثدييات المعقدة.

«تعـتبر الحيـاة في البـحـر مسرفـة اسـرافا ابعـد مـن كل خيـال، سواء في وفرتها، أو تنوعـها، أو قدمها، أو غـرابتها، أو جمالها... وتتراوح الكائنات البحرية من مـلايين بلايين الـكائـنـات «المـيـكروئـية» التي تجوب الـبحـر.. الى حيـتان المحيط.. التي يبلغ طول الواحد منها «٣٠ مترا» ووزنه «١٣٠ طنا».

وفي البحر كائـنات حَيّة لا هي بـالحيوانات ولا هي بالنباتات، بل هي بين هذه وتلك، ومن نماذج تلك الكائنات «الدينوفلاجيللات».

ولكل من احيـاء البحر، شكـلها الخاص بها، وطـريقة عيشـها ومحافظتها على النوع، وفي هذا من العجـائـب والغرائب والآيات ماتندهـش لها العقول، ولا يسـعـنا ــ في هذا المختصر ــ إلا أن نـقـف عاجزين عن البـيـان. فسبحان الخالق القادر المبديء المبدع الفعال لما يريد.

البحر مصدر من مصادر الغذاء

يعتبر البحر مصدرا عظيما مـن مصادر الغذاء، فقد يستهلك الانسان آلاف

الاطنان من لحوم حيوان البحر بأنواعه المختلفة يوميا.

وفي البحر من المعادن المختلفة الفلزية وغيرها، و من الكنوز ما يستعمل في الزينة من الحلي الكثير الكثير، كما ان البحر واحد من اهم واقدم طرق المواصلات التي ساعدت وما تزال تساعد على التفاعل الحضاري بين البشر، والى كل ذلك يشير القرآن في قوله تعالى:

«وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون». (النحل/١٤)

اللهم فلك الحمد ولك الشكر، حمدا وشكرا لا يقوى على احصائهما إلا أنت.

وما يستوي البحران

«وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طريا وتستخرجون حلية تلبسونها...». (فاطر/١٢)

ومن عظيم آياته ــ جلت قدرته ــ ان جعل في وسط المحيطات المالحة بحارا من المياه العذبة وانهارا، فلا المالح منها يؤثر في العذب فيغير من عذوبته، ولا العذب يؤثر في المالح فيقلل من ملوحته، فلا يبغي احدهما على الآخر، بالرغم من كونهما ملتقيين في الظاهر:

«مرج البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان. فبأي آلاء ربكما تكذبان». (الرحمن ١٩ــ٢١)

ومن كلا البحرين نأكل لحماً طيباً طريا، ومن كليهما نستخرج اللؤلؤ والمرجان نتخذه حليا.

من ذا جعل بين البحرين حاجزا؟

ومن حجر احدهما عن الآخر؟

وفي هذا خلاف للقوانين الطبيعية في الظاهر، حيث ان الماءين مختلفان في الكثافة، ومن الطبيعي جداً أن يؤثر الماء المالح الأكثر كثافة، بالماء العذب الأقل كثافة، خاصة وان الملح له قابلية كبيرة على الذوبان في الماء، وبالأخص العذب منه، ان هذا من فعل خالق الطبيعة ومبدع قوانينها، المتصرف بها كيف يشاء، فكل شيء عنده سواء، يسير الأمور بقوانينها وبعدمها، كيف لا وهو مقنن القوانين الطبيعية وغيرها، فسبحانه ما أعظمه، وسبحانه ما أقدره! :

«وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا». (الفرقان/٥٢)

أليس في هذا ذكرى للذاكرين، وعبرة للمعتبرين، وحجة على الملحدين والمارقين، وآية كبرى من آيات رب العالمين؟.

وفي البحر آيات وآيات :

«وآية لهم أنّا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون. وخلقنا لهم من مثله ما يركبون[١]. وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون. إلاّ رحمة منّا ومتاعا إلى حين». (يس ٤١ــ٤٤)

«ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام[٢]. ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره أن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور. أو يوبقهن[٣] بما كسبوا ويعف عن كثير». (الشورى ٣١ــ٣٤)

البحر والحياة على الأرض

ان الحياة في الحيوان والنبات متوقفة على الماء ــ وليس الماء فقط ــ والمصدر الوحيد للماء هو البحر، فماذا نصنع وماؤه لا يصلح للاستعمال، لما يحويه

---

(١) كالبواخر الكبيرة والغواصات والطائرات المائية وغيرها.

(٢) السفن الكبيرة الجارية في البحر كالجبال.

(٣) يوبقهن : يغرقهن.

من كميات كبيرة من الأملاح؟ ـــ الذي تكون من فعل تبخر المياه تاركة الأملاح، ثم عودة هذه المياه بواسطة الأنهار بعد سقوط الأمطار الى البحر ثانية جارفة معها املاح اليابسة، وبتكرار العملية اصبحت البحار مالحة، والحكمة في ذلك تخليص التربة من أملاحها لتبقى صالحة للزراعة هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى حتى لا تتسنى مياه البحرــ من أين نأتي بالماء العذب ومياه البحار مالحة كما أسلفنا؟.

انظر إلى آثار رحمة الله وآياته! ان جعل في الماء قابلية التبخر، ليخف وزنه أوّلاً، وليتخلص من الأملاح والشوائب ثانياً، بهذه الآية أحيى سبحانه الأرض ومن عليها:

«الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون... فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير».
(الروم ٤٨ـــ ٥٠)

تهب الرياح على البحار فتحمل ما تبخر من المياه على شكل سحاب فتسوقه الى حيث الحاجة اليه على الأرض، ولكن كيف يهبط إليها إن الذي رفعه إلى السماء بقوته ينزله الى الأرض بقدرته:

«هو الذي يريكم آياته وينزل من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب». (غافر/١٣)

«ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون». (الروم/٢٤)

حيث يجمع بين السحب المتفرقة بتغيير درجات الحرارة والضغط الجوي، فتتكاثف الغيوم فلا تقوى الرياح على حملها فيسقط المطر:

«ألم تر أن الله يزجي[1] سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما[2] فترى الودق يخرج من خلاله...». (النور/٤٣)

ولكن لماذا يسقط على شكل قطرات متعاقبة، ولا تسقط الغيوم دفعة واحدة، هذا من اسرار قدرته، والحكمة من ذلك واضحة جلية لكي يعم النفع، وألاّ يتحول المطر الى شلالات مدمرة وسيول جارفة.

ومن اسرار قدرته ان جمع بين النقيضين الماء والنار، فهذا البرق الذي نشاهده بن فينة واخرى، والذي يحدث الصواعق التي قد تصل الى الأرض فتحرق الأخضر واليابس، سببها الغيوم، أي الماء.

«ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال».
(الرعد/١٣)

جمع النقيضين من اسرار قدرته هذا السحاب به ماء به نار.

من ذا ؟

يتميز الانسان عن بقية الحيوانات بأنه يملك عقلا يميز به بين الأشياء، الصالح من الطالح، والنافع من الضار، فكيف تميز بقية الحيوانات بين ماينفعها وما يضرها؟ وكيف اهتدت فشقّت طريقها في الحياة مع اختلاف مطاعمها ومشاربها؟ فلا تأكل ألاّ مايناسبها من الطعام، فالذي يتغذى على اللحوم لا يأكل الحشائش، والذي يقتات الحشائش لا يأكل اللحوم.

من ذا الذي اعلمها ان هذا يفيدها، وذاك لا يفيدها، وهي لا عقل لها؟

ومن ذا الذي اعلمها بأن تحافظ على النوع؟ وكيف يتم ذلك؟

(١) يزجي : يسوقه برفق.
(٢) يجعله ركاما : متراكما بعضه فوق بعض.

ومن ذا الذي اشعرها بأنها لا تنجب الصغار إلاّ بمقاربة الذكر انثاه، وان يكون من نفس الفصيلة التي تنتمي إليها؟

ومن ذا الذي اشعر الأنثى أن في بطنها جنينا يجب الحفاظ عليه فعليها ان تبتعد عن الذكر، وان لا حاجة إليه؟

من ذا الذي اخبر الأنثى أن طفلها يحتاج إلى رعايتها، ارضاعه، البقاء إلى جانبه، حمايته، درء المخاطر عنه، العطف والحنان؟ من أين لها كل ذلك وغيره؟

من ذا الذي أعلم الطائر أن البيضة تحتاج إلى تلقيح؟

من ذا الذي أعلم الأنثى أن البيض يحتاج إلى احتضان لتحصل على صغارها، فتقوم بعمل الأعشاش، كل نوع حسب ما يوافقه، من القش أو الطين، على الأرض وفوق الشجر؟:

«... ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى». (طه/٥٠)

ما أكثر العبر

ما أكثر العبر، في كل خلق من المخلوقات عبر وعبر، وفي كل شيء، له آية تدل عليه، وتهدي إليه، فهل من معتبر؟

آيتان نعرضهما فتدبرهما ـ أيتها القارىء الكريم ـ ففيهما تتجلى العظمة والقدرة الألهية:

الاولى: **«وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين». (النحل/٦٦)**

أية عظمة هذه التي تخرج لنا من بين فرث ودم، لبناً أبيض ناصعاً خالصاً، لا يشوبه شيء من لون الدم، ورائحة الفرث، سائغاً لذيذا، سهل البلع والازدراد، جم الفوائد، نموذجا أعلى للغذاء الكامل!!

كيف اختفت ألوان الطعام الذي تغذى عليها الحيوان؟ وأين ذهبت رائحته وطعمه؟

الآية الثانية: **«وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلي من كل الثمرات فأسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أن في ذلك لآية لقوم يتفكرون». (النحل ٦٨ـ٦٩)**

تمتص النحلة رحيق بعض الأزهار ـــ وليس جميعها لتصنع منه بعد ذلك عسلا طيبا مختلفا ألوانه، الأصفر والأحمر والبنفسجي والبني، فيه شفاء للناس.

من ذا أعلم هذه الحشرة الصغيرة، بأن طعامها وطعام صغارها من هذا الرحيق، وليس من شيء آخر؟. وان قسما من الرحيق يمكن صنعه عسلا، والقسم الآخر لا يمكن أن يصنع منه العسل؟ والكل زهر، ومن الكل تستطيع ان تستخلص رحيقا؟!

كيف يتم الأمتصاص؟ وكيف يتحول الرحيق الى مادة غاية في الحلاوة؟ من اين جاءت هذه المادة الحلوة؟

حسنا! وهل تحتاجين ايتها النحلة الى غير العسل؟ نعم، احتاج الى مكان لا حفظ فيه العسل، لأدخره لصغاري الاعزاء؟!

فماذا ستفعلين اذن؟

عجبا منك ايها الانسان!! كيف تسأل هذا السؤال، وانت تعلم ان الله تبارك وتعالى، قد اعطى كل نفس هداها، كيف تسأل هذا السؤال وانت تعلم بما مكنني ربي. فلو اجتمع الأنس والجن على ان يصنعوا ما اصنعه أنا لما استطاعوا، ومن ينكر قولي فهذه الأزهار تملأ الرحب، وليصنع منها قطرة واحدة من العسل!!

عفوا أيها المخلوق العجيب!! انا أعرف انك تصنعينه من مادة الشمع، ولكن سؤالي، سؤال من ابهرته هذه العظمة، انك تتغذين من طعام واحد، يسلك هذا الطعام سبيلاً واحداً في داخلك، فاذا به يخرج طعاما سائلا لذيذا حلوا مرة،

واخرى مادة صلبة لا طعم لها، وتختلف اختلافا كليا عن العسل، كيف يحدث هذا، ان هذا لشيء عجاب؟!. قالت: أو تعجب من أمر الله الذي يقول للشيء كن فيكون؟!.

جلت قدرتك يا ربّ، وعظمت آياتك وآلاؤك .

القمر

«وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمسَ والْقَمَر دائِبَين وَسَخَّر لَكُمُ اللَّيلَ وَالنَّهار». (ابراهيم/٣٣)

القمر جرم صغير أذا ماقيس ببقية الشموس والكواكب الاخرى، وهو اصغر من ارضنا بست مرات، وانه جسم معتم كأرضنا يعكس اشعة الشمس الساقطة عليه فنراه منيرا. وقد نبّه القرآن الكريم الى هذا المعنى أكثر من مرة ــ قبل قرون ــ قال سبحانه:

«هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصّل الآيات لقوم يعلمون». (يونس/٥)

«تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا». (الفرقان/٦١)

«وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا». (نوح/١٦)

فالشمس ذات ضوء، والقمر ذو نور، فرّق بين الأثنين اشعارا بأن الشمس تضيء بنفسها، وان القمر يستمد نوره من غيره.

تقدر شدة اضاءة البدر جزءاً واحداً من «٤٥٠٠٠٠» جزء من شدة اضاءة الشمس وقت الظهر.

يدور القمر حول نفسه وحول الأرض وحول الشمس في آن واحد بدقة متناهية:

«الشمس والقمر بحسبان»[1]. (الرحمن/٥)

بحيث يكون بامكاننا ان نعرف مكانه وبعده عن الشمس والارض في أية دقيقة، بل في أية ثانية، وحساب الزمن الذي يتوسط فيه بين الأرض والشمس، وتوسط الأرض بينه وبينها! محدثا الكسوف والخسوف.

وهو لا يزال على حركته ودورانه منذ آلاف السنين، والى ما شاء الله، لم يفتر ولم يغير مداره، وفي هذا مخالفة لقوانين الحركة.

«وسخر لكم الشمس والقمر دائبين[1] وسخر لكم الليل والنهار».

(ابراهيم/٣٣)

أليس في خرق القوانين دلالة واضحة، وآية جلية على القدرة والعظمة، أفلا تتفكرون؟!.

---

(١) يجريان في مدارهما بحساب دقيق ومضبوط لا تفاوت فيه.

(١) دائبين: جاريين لا يفتران.

الشمس

«وَمِن آيَاتِهِ ٱللَّيلُ وَالنَّهارُ وَالشَمسُ وَالقَمرُ». (فصلت/٢٧)

ان الشمس جزء من قرص فسيح دوار من النجوم والغبار والغاز يبلغ عرضه «١٠٠٠٠٠» سنة ضوئية.

يبلغ قطر الشمس «٨٦٤٠٠٠» ميل، ووزنها «٢٠٠٠» بليون بليون طن، وهي أكبر من الأرض بمقدار «١٠» ملايين مرة.

تبلغ درجة الحرارة في قلب الشمس «١٤» مليون درجة مئوية، ويزيد متوسط درجة حرارتها على «٥٠٠٠» درجة مئوية.

«يتكون سطح الشمس من كتلة مضطربة من الغازات الساخنة والجسيمات تحت الذرية، وتمزق الشمس دوامات مروعة تحدث في جوفها، تفور هذه الدوامات الى أعلى وتظهر على شكل بقع شمسية، كما تسبب الانفجارات الشاهقة التي تعرف بالنتوءات، وتتخذ النتوءات صورا عدة، اصغرها تسمى بالاشواك ، وهي لا تدوم أكثر من خمس دقائق، ولا يزيد ارتفاعها على عدة آلاف من الكيلومترات، وهي كثيرة لدرجة أن المرء اذا نظر في أي وقت الى الشمس وجد منها أكثر من «٢٠٠٠٠» نتوء اما الانفجارات العظيمة والتي تشكل مايسمى بالحلقات والاقواس، فهي اروع وابهر من النتوءات حيث أنها تتصاعد الى ارتفاعات شاهقة قد تصل الى نصف مليون ميل، وقدتدوم اربع ساعات».

الشمس فرن ذري يحول الكتلة الى طاقة، فهي في كل ثانية تحول «٥٨٧» مليون طن من الهيدروجين الى «٥٨٣» مليون طن من الهليوم، اما

الملايين الاربعة الباقية فتتناثر في الفضاء على شكل طاقة تتلقى الارض منها «جزءا واحدا من مليار جزء» فقط، وان مايصل الى الارض من اشعة الشمس خلال ربع ساعة بقدر مايستهلكه البشر من مختلف انواع الطاقة الاخرى مدى عام كامل.

ان الطاقة التي تتولد من افناء المادة في اعماق الشمس تشق طريقها الى سطح الشمس ثم تشع في الفضاء، ولو لم يحدث هذا الاشعاع، لارتفعت درجة حرارتها الى حد يؤدي الى انفجارها في مدة قصيرة، ويقدر ماتنتجه الشمس من طاقة في كافة الاتجاهات بـ«٣٨٠» بليون واط.

يدور حول الشمس غير الأرض والسيارات الاخرى مايقرب من «١٠٠ الف مليون» مذنب بصفة مستمرة على مسافات لا تقل عن «١٢ الف مليون» ميل.

ومن اكبر هذه المذنبات مذنب «هالي» الذي يجر وراءه ذيلا يبلغ طوله «٥٠ مليون» ميل، ويظهر للعيان كل «٧٥» عاما وسوف يعود الى الظهور عام «١٩٨٦» اذا شاء الله.

ولو ان مذنبا اصطدم بالأرض فانه سوف يوجه لها ضربة عنيفة لا يمكن تصورها.

الشمس آية

ان للشمس الفضل الكبير على الاحياء في الأرض، فالنباتات تصنع غذاءها، من الاملاح والمواد الاولية في التربة، بمساعدة المادة الخضراء «الكلوروفيل» زائداً ضوء الشمس، ولولا ضوء الشمس لا نعدمت النباتات وبانعدامها ينعدم الحيوان والانسان معه، لانهما يعتمدان على النبات وآكله من الحيوان.

ولولا الشمس لبلغت درجة الانجماد على الارض مالا يمكن الحياة معها

لأي نوع من الأحياء.

ولولا الشمس لما تبخر الماء، فلا مطر، والحياة متوقفة على ماء المطر، لأن أصل ماء العيون والأنهار، المطر، فلا حياة اذاً ولا أحياء.

ولولا...

ولولا...

ان البعد الثابت بين الشمس والأرض، موزون بدقة متناهية، فلو بعدت المسافة بينهما قليلاً، لتجمدت الأرض ومن عليها وما عليها، ولو قربت قليلاً، لاحترق كل ما عليها، الأخضر واليابس على السواء.

فماذا تعني هذه الدقة؟

أمن العقل أن نوعزها الى المادة الصماء البكماء، أو الصدفة العمياء؟!

ونكرر هنا ما قاله امامنا الراحل الشيخ محمد الخالصي ـــ قدس سره ـــ: «ألا ليت، الصاد والدال والفاء والهاء، عدمت من اللغة». واذن لحار الملاحدة بم يعللون هذا الكون البديع.

هذه جهنم

يعجب البعض حين يسمع وصف النار في قوله تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون». (التحريم/٦)

«فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين». (البقرة/٢٤)

قد يصدّق بأن الانسان نفسه يكون وقودا، ولكن كيف يكون الحجر وقودا. هذا مالا يتصوره، فأذا علم بأن درجة الحرارة في قلب الشمس تبلغ «١٤» مليون درجة مئوية، ليس له الا ان يذعن ويصدق بوعد الله ووعيده، هذا

مع غض النظر عن أمكان تحويل الكتلة الى طاقة.

ونقول للذين ينكرون وجود جهنم في الآخرة، ها أنتم ترون بأعينكم، وتحسون بأنفسكم، مايشبه صفة جهنم، وبـ«انها لظى، نزاعة للشوى» و «انها تطّلع على الافئدة» تحرق الفؤاد قبل الجوارح!

ألا تخشون ان تكون هذه الشمس هي جهنم؟ ولا نريد ان نقول ان هناك ملايين المجرات، في كل مجرة ملايين الشموس تقدر طاقات بعض تلك الشموس بـ«٤٠٠٠٠» شمس من شمسنا كما في مجموعة «الجبار» او ما يعادل شمسنا بـ«مليون» مرة من الطاقة الحرارية كما في مجموعة «المتجددات الكبرى».

وما هذه النجوم التي نراها سوى مفاعلات نووية جبارة، وهي موزعة في الفضاء في مجموعات كبيرة بما يفوق حد التصور، فتصور الطاقات الحرارية الرهيبة لهذه المفاعلات لو جمعها الله سبحانه في مفاعل واحد، وجعلها جهنم، فماذا سيكون حال الناس والحجارة فيها؟!

اللهم نجنا من عذابك، وبصر عبادك، واهدهم صراطك.

المنافقون

ونذّكر المنافقين بقوله تعالى:

«ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا».

(النساء/١٤٥)

فلو فرضنا ان جهنم كشمسنا هذه في درجة حرارتها، وكان متوسط حرارتها «٥٠٠٠» درجة مئوية ــ علماً بأن الماء يغلي في درجة «١٠٠» مئوية فان دركها الأسفل يبلغ «١٤ مليون درجة مئوية». فماذا هم صانعون، ومتى عن غيهم ينتهون؟

نقول هذا لنقرب الموضوع، والا فان في الآخرة من «النعيم» ومن

«العذاب» مالا عين رأت ولا اذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ملايين الاطنان

تـنـفـق الشـمـس مايزيـد على «٦٥٧» مـلـيـون طن من الايدروجين في الثانية الواحدة، والشمس وجدت منذ نحو «٥٠٠٠» مليون سنة ــ كما قرره علماء الفلك ــ فكم انفقت من الملايين من اطنان الايدروجين في هذه المدة؟ ومن اين جاءتها؟ أفلا تتفكرون؟!

تفقد الشمس من طاقتها الحرارية في كل ثانية «٤» ملايين طن، فلماذا لم تنفد حرارتها، وقد مضى على وجودها هذا الزمن السحيق؟! بل وحتى لم تفقد من حرارتها شيئا؟!

من ذا الذي يمدها بالطاقة، أفلا تبصرون؟

«وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم».

(الحجر/٢١)

الكون

«وَالسّماء بَنَيناها بِأيدٍ وإنَّا لَمُوسِعون». (الذاريات/٤٧)

سعة الكون

ان كل النجوم التي تراها العين المجردة تنتمي الى مجرة واحدة هي مجرتنا المسماة بـ«الطريق اللبني» ومن غير الممكن ان نحيط بشكل المجرة الكلي، لان شمسنا وارضنا غارقة فيها، وانها تحتوي على «١٠٠٠٠٠» مليون نجم، وهي في حد ذاتها ليست سوى بداية للكون، وان وراء هذه المجرة الى غير حد، وفي جميع الاتجاهات، مجموعات اخرى لا حصر لها من المجرات، ويقدر ان اكثر من «الف مليون» مجرة تقع في مدى الرؤية بالمناظير، والمستقبل كفيل بأن يرينا الكثير الكثير غيرها.

ان الوحدة الاساسية لقياس الكون هي المجرة ــ فلا مجال لاستعمال الميل وغيره هنا، والمجرة تجمع كبير للنجوم، فبعضها صغير، وبعضها الآخر كبير، ولكن كلا منها يحتوي في المتوسط على «ألف مليون» نجم.

الكون في توسع رهيب

ان الكون المرئي كله ــ أي مئات ملايين المجرات ــ ليس مستقرا، ولكنه يتسع في كافة الاتجاهات، تتخذ كل منها اتجاها مغايرا لغيرها من المجرات، وقسم منها يتداخل بعضها ببعض اثناء سيرها دون ان يصطدم ببعضها الآخر!. ومعظم المجرات تتخذ شكل قرص مسطح منها مجرتنا، ومنها ما يتخذ شكل العنقود.

في المجموعة النجومية المسماة «العذراء» عنقود عجيب الشأن يتكون من عدة آلاف من المجرات، يقدر بعده عنا بحوالي «٥٠ مليون» سنة ضوئية ــ علما بأن الضوء يقطع في سيره «٣٠٠٠٠٠» كيلومتر في الثانية الواحدة ــ يسير هذا العنقود في الاتجاه المعاكس لمجرتنا بسرعة «٧٥٠ ميل» في الثانية.

وهناك عنقود آخر يتكون من حوالي «٣٠٠» مجرة يستكن في حجر الدب الأكبر، ويقع على بعد «٦٥٠» مليون سنة ضوئية يسير بسرعة «٩٣٠٠ ميل» في الثانية.

اما عنقود الاكليل الشمالي، ويقع على مسافة «٩٤٠» مليون سنة ضوئية، ينطلق بسرعة «١٣٤٠٠» ميل في الثانية.

وآخر في مجموعة «المعواء» على بعد «١٧٠٠» مليون سنة ضوئية ينقذف الى الخارج بسرعة «٢٤٤٠٠» ميل في الثانية.

وهناك عدد من المجرات الخافتة في مجموعة «الشجاع» تبدو على شكل عنقود كثيف على بعد «٢٧٠٠» مليون سنة ضوئية، فهو يضيف في الثانية الواحدة «٣٨٠٠٠» ميل الى المسافة التي تفصل بينه وبين مجرتنا، حيث ينطلق بسرعة تبلغ خمس سرعة الضوء.

وثمة مجرة غريبة، فقد ظهر من القياسات ان هذه المجرة تندفع مبتعدة بسرعة تزيد على ثلث سرعة الضوء، أي ان الأشعة التي يتلقاها الانسان منها تكون قد صدرت عنها منذ أكثر من «٤٠٠٠» مليون سنة، وفي الوقت نفسه تكون قد قطعت شوطا بعيدا في رحلتها وصل بها الى مسافة «٦٥٠٠» مليون سنة ضوئية.

وما خفي عنا اغرب واعجب وارهب.

«والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون». (الذاريات/٤٧)

«أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها، رفع سمكها فسواها [١]».

(النازعات ٢٧ ــ ٢٨)

---

(١) رفع سمكها فسواها: جعل مقدار علوها رفيعا. لا تفاوت ولا عيب فيها، وتتوسع بنظام دقيق.

«هـذا خـلق الله فأروني مـاذا خـلـق الذين مـن دونـه بل الظالمون في ضلال مبين». (لقمان/١١)

عجب!!

ان تعجب فعجب قولهم:

ان هذا الكون الواسع الرهيب، وهذه العظمة في الخلق وهذه الدقة في الصنع، وهذا النظام البديع، الذي ترتبط وفقه افراد المجرة الواحدة فيما بينها من جهة، وبينها وبين المجرات، التي لم تحص لحد الآن ولن تحصى، من جهة اخرى، وجد صدفة!! وليس لهذا كله صانع مدبر مبدع!.

انك ترمى بالجنون اذا قلت لأحدهم: ان البناية الفلانية ــ مثلا ــ وجدت بالصدفة على هذه الكيفية، لم ينحت ابوابها نجار، ولم يصنع شبابيكها حداد، ولم يخلط موادها بنّاء، ولم يرصف آجرها معمار، ولم يخطط لها مهندس أو فنان.

انه لا يرتضي هذا لبناية صغيرة حقيرة، ويرتضيه لهذا الكون الفسيح، وهذا الخلق البديع، انه وجد بالصدفة!!.

أعَمَىً اشد من هذا؟

ام ضلال اكثر من هذا؟

ما لكم كيف تحكمون؟!

بل هو صنع العليم الخبير.

وتسخير الخالق القدير.

«وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون».(النحل/١٢)

القسم الثاني

الأنفس

الخلية

بدأنا كلامنا عن الكون ــ بالذرة ــ ونبدأه هنا عن الانفس بالخلية.

تتكون كافة الكائنات الحية من واحدة من الغرف المجهرية تسمى الخلايا «كالاميبا» أو أكثر، ويقدر ما في الرجل البالغ من خلايا بنحو «الف مليون مليون» خلية. وتعتبر الخلية الحجر الاساس في بناء الكائن الحي.

سر الحياة

تتكون الخلية على وجه العموم من حجرة يغلفها غشاء مضاعف، ويمتاز هذا الغشاء بخاصية عجيبة، فهو يشبه المرشحة الانتحابية، يرشح الفضلات الفاسدة الى خارج الخلية، ويدخل اليها المواد الغذائية كالسكر والماء وغيرها.

وتملأ هذه الحجرة مادة سائلة، تستقر في هذه المادة السائلة المسماة بـ«السيتوپلاسما» النواة، وفيها يكمن سر الحياة للخلية، وتحيط بالنواة مادة الهيولي التي تحوي مايقرب من «٥٠٠» مصورة حيوية، و «٥٠٠٠٠٠» جسم ربي، و «٥٠٠» مليون ذرة انزيمية، كل هذا في هيولي الخلية الواحدة.

والنواة على غاية من الدقة في بنائها، حيث يستقر داخلها اهم شيء في الخلية، وهو ما يسمى بـ«الموروثات» التي يتم بواسطتها نقل صفات النوع الى ذراريه، كما يستقر داخل النواة نواة لها تسمى بـ«النوية»، بالاضافة الى الشبكة «الكروماتينية» وهي محاطة ايضاً بغشاء نووي مضاعف.

نواة داخل خلية لا ترى الا بالمجهر، تحدد الجنس وصفات النوع، كطول القامة ولون البشرة والشعر والعينين، ولحن الصوت، وقسمات الوجه، وشكل

العظام والعظلات، والهورمونات والغدد، وكل ما في الجسم من مختلفات ومتنوعات.

هل بامكان الصدفة احداث هذه المتغيرات؟؟

«ان تطبيق قانون الصدفة انما يتم على المادة غير الحية، فدراسة الاحتمال على ضغط غاز في وعاء، او خليط من غازات قد يصح. ولكن على الخلية وباقي الحياة فانه يقف، لان الترابط مع ظاهرة الحياة معجزة ومحيرة الى حد يجعل القانون هنا غير ساري المفعول في هذا المجال».

هل هي الطبيعة؟

وقانون الطبيعيات لا يمكن تطبيقه هنا، لان طبيعة الاشياء واحدة لا تتغير، فطبيعة النار الحرارة، وطبيعة الثلج البرودة، وهكذا.

ونحن نرى وجود الانواع المختلفة في الشكل واللون والحجم والكم والكيف في الخلية الواحدة، اذن تخسأ الطبيعة الفاقدة للقصد والتدبير والارادة من ان توجد هذه المتنوعات والمتغيرات في الخلية، التي هي آية في الابداع والتكوين!!

ام هي المادة؟

ما للمادة الميتة، الصماء البكماء العمياء، وللحياة في الخلية، وفاقد الشيء لا يهبه.

ان الانس وما لديهم من علوم ومخترعات، والجن بما عندهم من امكانات، لا يستطيعون ان يفقهوا سر الحياة في الخلية، فأنى للمادة والطبيعة والصدفة ان توجد الخلية والحياة فيها!؟

«أفمن يخلق كمن لا يخلق ما لكم كيف تحكمون».

يبلغ وزن الخلية جزء من المليار من الغرام، وتختلف اعمال الخلايا باختلاف المكان الذي تعمل فيه، وكذلك باختلاف الزمان، فخلايا الدم غيرها

في العضل، وتختلف هذه عن التي في العصب، وهكذا، وكما تختلف بالاعمال تختلف بالاعمار. فخلايا الجملة العصبية عمرها بقدر عمر الانسان، لا يزيد عددها على مر السنين ولا ينقص، والكرية الحمراء تعيش ما يقرب من الشهرين، وهناك خلايا تعيش اياما معدودة.

أليس هذا الاختلاف في الاعمال والاعمار آية الارادة والقدرة والعظمة.؟

يوجد في كل خلية ما يقرب من «١٨» عنصرا معدنيا، وهي نفس العناصر التي يتكون منها التراب، وهذا مصداق قوله تعالى:

«ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون». (الروم/٢٠)

يستهلك جسم الانسان حوالي «١٢٥» مليون خلية في الثانية.

من ذا الذي يعوض الجسم عن الخلايا التي تستهلك؟ ولماذا تموت؟ وكيف تموت؟ واين تذهب الحياة فيها؟ واذا كان الطعام الذي يتناوله الانسان يحول الى خلايا جديدة، فكيف تحول؟ ومن الذي حوله؟ ومن اين اكتسب الخاصية التي تتكون منها الخلية؟ ومن اين جاءتها الحياة؟!

«تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير. الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور». (تبارك ٢/١)

«وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم». (الروم/٢٧)

الدماغ

خلايا الدماغ

في الدماغ مايقرب من «١٤» الف مليون خلية ترتبط ببعضها بواسطة الاستطالات الهيولية، حتى ان بعض الخلايا تتصل بـ«١٨٠٠» خلية اخرى، ومن هذا الترابط تنشأ الممرات الهائلة.

فتصور عظمة الخالق جلت قدرته! وكم مليون آية في الخلية الواحدة تدل عليه، وتدعو إليه، وتسبح له؟ مع علمنا ان الخلية تحتوي على «٥٠٠» مليون ذرة انزيمية، ومئات الآلاف من الاجسام الريبية!.

يتلقى الدماغ في كل ثانية «١٠٠» مليون اشارة من الاعضاء الحسية في الجسم، «ولكن مايصل قشرة الدماغ ــ التي هي مركز الارادة والتفكير وجميع النشاطات الذهنية ــ «١٠٠» اشارة فقط، وذلك لكي لا ينشغل المخ بهذه الملايين من الاشارات الحسية فقط، ولكي يتوجه الى باقي العمليات الذهنية الاخرى والأكثر اهمية».

هل يمكن انكار الغاية والقصد في هذه العمليات.؟

«يبلغ وزن الخلايا العصبية في قشرة المخ «١١٦» غراما.. فتصور ان رقي الانسان وعظمته، والملكات الفكرية السامية، والعمليات الذهنية الراقية، والتوقد الروحي، والخيال، والابتكار، والفن والابداع، والكشف، والادراك، والتخيل، والتحليل والتركيب، والشخصية، والارادة، كلها في «١١٦» غرام فقط، وان هذه الخلايا مع عظمتها فهي خفيفة جداً».

العقول الالكترونية

يبهر الانسان للعقول الالكترونية ـــ مع محدودية قدراتها ـــ يبهر لها، ويشيد بها ويعظم العلماء الذين اوجدوها، ويزمر لذلك ويطبل، هذا الانسان نفسه يجادل في خالق الادمغة والعقول التي لا حدود لقدراتها وابتكاراتها وادراكاتها، وملكاتها الفكرية، والفن والابداع والخيال فيها، والتي لا يوجد نوع من هذه الانواع في العقول الالكترونية منها!! اضف الى ذلك التعقيد العظيم في اجهزة الدماغ.

قال الدكتور جودسن هويك :

«لو جمعنا كل اجهزة العالم من الرادار والتلغراف والتلفزيون والتلفون، ثم بدأنا بتصغير ما اجتمع لدينا حتى توصلنا بهذه الكومة الهائلة من هذه الاشرطة والاجهزة المعقدة الى حجم الدماغ فانها لا تبلغ في تعقيدها مثل الدماغ».

والعقول الالكترونية انما هي آلة يصدر عنها ما يملى عليها :

يعترض العقل على خالق ... من بعض مخلوقاته العقل!

الحواس الخمس

«أَلَمْ نَجْعل لَهُ عَيـنَيـنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيـنِ وَهَدَينَاهُ النَجدينِ».

تعتبر الحواس الخمس في الانسان من الاجهزة المعقدة جداً، وانسان القرن العشرين، الذي يعتبر عصره عصر النور والتكنولوجيا، و.و. لا يعرف عن حواسه سوى فسلجة اعضائها، أما كيف يتم السمع؟ وكيف تُفهم الكلمات؟ وكيف يُميّز بين الاصوات المختلفة؟ أما كيف تدرك الخلايا العصبية ذلك؟ فهذا مما لم يتوصل إليه، ولعله لا قدرة له على ذلك. وما يقال عن حاسة السمع يصدق على بقية الحواس الاخرى، كالابصار، والتمييز بين المرئيات والالوان وكيف يتم الشم، والتفريق بين الروائح المختلفة. وتأثير الملموسات على خلاياها. والذوق وكيف يتم التمييز بين الاطعمة المختلفة.

وفيما يلي نبذة وجيزة عن كل حاسة على انفراد، لنتبين من خلال ذلك الاعجاز الكبير، والقدرة العظيمة فيها، ودلالة ذلك على العلي القدير.

حاسة السمع

لعل حاسة السمع من أهم الحواس الاخرى في الانسان ــ حتى ومن حاسة البصر ــ فان بامكان فاقد البصر أو أي حاسة أخرى غير السمع من تلقي العلوم والمعارف على اختلافها، وان يصل الى درجة كبيرة من الفهم والادراك والنبوغ، وهذا ما لا يتأتى لفاقد السمع. وفي القرآن الكريم اشارة الى تفضيل السمع على البصر في أكثر من آية. قال تعالى:

«والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون». (النحل/٧٨)

«قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون». (الملك/٢٣)

تقسم الاذن الى ثلاثة اقسام:

(١) الاذن الخارجية: وتتكون من الصيوان والممر.

(٢) الاذن الوسطى: وتتألف من غشاء الطبلة، والمطرقة والسندان والركابة، وعضلتي المطرقة والركابة، ونفير «اوستاش» الذي يوصل بين الاذن الوسطى والبلعوم.

(٣) الاذن الباطنة: وتتكون من القوقعة، والاقنية الهلالية، والكيس، وعضو كورتي... وغير ذلك من الالياف العصبية والاعصاب، ودهاليز وممرات معقدة، والسائل اللنفاوي، والرمال السمعية، والاهداب.

ولكل من هذه الاقسام عمله الخاص به، وهو في غاية الدقة في التصميم واداء العمل.

فالاذن الخارجية تستقبل الصوت، والصيوان هو الذي يعين جهة الصوت مستعينا بالتعرجات فيه، والاذن الوسطى تنقل الصوت، وتقوم عُظيمات السمع بتسريع مرور الصوت الى الاذن الباطنة بعد ان تضخمه، ويتم السمع في الاذن الباطنة بالتعاون مع الفص الصدغي، الذي هو من فصوص الدماغ. وللاذن الباطنة عمل آخر جد مهم الا وهو المحافظة على توازن الجسم.

ويتم السمع «باهتزاز البلغم المحيطي الذي يسبح في الزاحف الدهليزي، والزاحف الطبلي يؤثر على القناة الملعقية، التي تحوي عضو كورتي، وهي تحوي البلغم الداخلي، وهذه القناة مغلقة من نهايتها وتتصل بقناة بعضو التوازن، واهتزاز البلغم الداخلي يؤثر على اهداب الخلايا والرمال السمعية التي ذكرناها، وهذه

بالتالي تنقل عبر الياف العصب السمعي بشكل سيالة عصبية ونبضات كهربية الى الفص الصدغي حيث تفهم على اتم وجه».

ومن المدهش والمحير للعقول كيفية تفهم الفص الصدغي للاصوات المختلفة، وكيف يميز الانسان بينها، الهادئ منها والشديد، وكلام الانسان ــ ولكل صوته الخاص بهــ واصوات الحيوانات المختلفة، والالحان المتعددة، والانغام المتباينة، ومئات الاصوات الاخرى في هذا الكون، وبالامكان التميز ما بين «٣٤» الف لحن مختلف في الشدة والتوتر والاهتزاز.

هذه آيات الله، فأي آيات الله تنكرون؟!.

حاسة البصر

«قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرّف الآيات ثم هم يصدفون».

(الانعام/٤٦)

تأتي حاسة البصر بالدرجة الثانية بعد السمع اهمية، بهذه الحاسة يتعرف الانسان على المحيط الخارجي وما فيه من مرئيات، وبها يميز بين الالوان والاشكال المتنوعة، وبها يقدر المسافات بمنتهى الدقة، وبها يقوم بجميع اعماله. والعين بعد ذلك تكمل جمال الوجه، وبها تمام الخلقة.

كيف يتم الأبصار؟

«ينطلق الشعاع الضوئي من الجسم المرئي الى العين، ويخترق سلسلة اوساط شفافة كاسرة للنور حتى يقع على منطقة حساسة في العين هي (المنطقة الشبكية) وفيها العناصر الحساسة للنور حيث تتأثر منها وينتقل هذا التأثير بشكل سيالة عصبية عبر الياف العصب البصري الى السرير البصري، ومن السرير تصدر الياف عصبية تشبه الاشعة الى الفص القفوي حيث يعتبر مركز الرؤية العام في الدماغ، وهو مضاعف في فصي الدماغ».

فالله خيرٌ حافظاً

لعل العين ارق الحواس، يضاف الى ذلك انها ظاهرة وفي مقدمة الوجه، فهي معرضة الى الصدمات والغبار والمكروبات.

ولكن الله الذي خلق الانسان في احسن تقويم «**لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم**»، لا يدعها نهبا لهذه العوارض، فقد حفظها تبارك وتعالى حيث جعلها في تجويف داخل الجمجمة ــ احدى اقوى عظمة في الجسم ــ تحيط بها مرتفعات صلبة، عظام الجبهة من الاعلى، وعظام الوجنتين من الاسفل، وعظمة الانف من جهة اخرى، وهذه المرتفعات العظمية تقي العين اللكمات والصدمات. اما الحاجب فيحفظها من تسرب العرق اليها من الجبهة، والجبهة اكثر تعرقا من باقي اقسام الوجه وتحجب اشعة الشمس القوية، والاهداب تحفظها من الغبار، والدمع يقتل الميكروبات التي تدخل العين، والدمع اقوى معقم عرف حتى الآن.

مم تتركب العين؟

في العين «... ثلاثة جدران، منطقة للابصار، وجدران للتغذية والحماية والجمال، وفيها سائلان احدهما ثابت والآخر مثل الدوامة يفرغ ويفرز ليل نهار، وفيها بلورتان واحدة امامية ثابتة، والثانية خلفية متبدلة، وفيها واجهة للجمال وحماية العين من النور الساطع وهي القزحية، وفيها غدد من شتى الانواع للدهن والمفرزات والترطيب والتطهير والحماية، والدمع، وفيها اقنية وممرات شتى لتصريف السوائل والدمع، وفيها سبع عضلات للتحريك المتزن واسدال الستار ورفعه امام الرؤية وهو الجفن العلوي، والجفن العلوي فيه سبع طبقات احداها تشكل قالب الجفن وهو الظفر الجفني، وفي العين ثلاثون شريانا مغذيا، وثلاثة !عصاب محركة، وعصب ينقل الحس، وعصب ينقل المبصرات عبر شريط يضم «نصف مليون» ليف، وهذه الالياف تنقل المبصرات من «١٤٠» مليون عصاة و «٧» ملايين مخروط، وبعد ذلك الوسادة الشحمية التي ترقد عليها العين،

والجدار العظمي الذي يغلفها من كل جانب...

افكل هذا: من حماية العظام، وضيافة الشحوم، وعدد العضلات، وروعة المبصرات، ودقة التجهيزات وتصريف القنوات، وجريان الينابيع والشلالات، وتغذية الشرايين، وتصريف الاوردة والبلغم، لا يدل على الخالق العظيم!!؟».

وفي العين عجائب وغرائب، وحولها اسئلة بلا جواب:

كيف تصور العين المرئيات؟ واين تحمض الصور؟ وما هي مادة التحميض في العين؟ واين يتم غسل الافلام وطبعها؟ ولماذا لا تحترق الصورة والعدسة مفتوحة دائما؟ وما هذه الدقة المتناهية في تعيين المسافات في البعد والقرب؟ وكيف تلون الصور؟ وكيف تميز العين ما بين حوالي «١٢٨» لون؟ واي جهاز هذا الذي ينظم النور من واحد «لامبر» ــ وحدة ضوئية للرؤية ــ حتى ترتفع الى «١٦» لامبر، وتنخفض الى «٢٠» مليون، وعلى هذا يكون احساس العين ما بين الحدود الدنيا والحدود القصوى «٢٠» مليون ضعف؟ واي جهاز ومن ذا يجعل قوة العين تصل الى «٥٠٠» ضعف في الظلام؟ ومن ذا.. ومن ذا..

اكل هذا بلا قصد ولا تدبير ولا ارادة؟!.

مالكم كيف تحكمون؟!.

حاسة الشم

الشم نعمة انعمها الله على عباده ليتلذذوا بما خلق سبحانه من الروائح العطرة، وليميزوا بين المفيد والمضر من المطاعم والمشارب.

«ان حاسة الشم تتركز في الانف وخاصة في القسم العلوي من الانف، فلو نظرنا الى جدار الانف الداخلي لوجدنا فيه ثلاث قطع عظمية مغلفة بغشاء مخاطي يعلو بعضها البعض وتسمى «القرينات»... وهي تشترك في عملية

الهواء اثنـاء مروره بـالانف، فاذا نظـرنا الى مـا فوق القرين الـعلوي رأينا المـنطقة الشمسية بمساحـة تبلغ «٥٠» متـراً مربعا، في هذه المنطقة تتوزع الـياف العصب الـشمـي بعد ان تجـتاز سقف الانف مـن خلال صـحيفـة مثقبة كـالغربال... وتتوزع هذه الاليـاف العصبية بحيث يكون لكـل خلية شـميـة «٦ــ٨» اهداب تغطس في سائل مخاطـي يعلوها، فـاذا وصلت الروائح الشـميـة الى تلك المـنطقة انحلت في السائـل المخاطي اولا ثم في المـواد التي تحوها تلـك الاهداب من طـبيعة دسمة تساعد على المواد الكيمياوية».

«مازال موضوع الشم حتى الآن محيرا للعلماء، فما هي طبيعة الروائح التي نشمها؟ ومـا هـي علاقة الرائـحـة بالتركـيـب الكيميـاوي للمادة؟ وهل هـناك روائح اساسـية وتشتق منهـا بقيـة الروائح عن طـريق المزج بين نوعين أو أكثر من هذه الروائح الاصلية بـنسب متفاوتة؟ وما عـلاقة الروائح بالروح؟ وكيـف تفهم الخلايا العصبية الروائح وتميز ما بينها؟».

لندع العلماء في حيرتهـم، ولـيس الشم وحده يحيرهم، وانما كـل شيء في الوجود محير لعقـولهم. اما المؤمنـون فلا يحيرهـم شيء، لانهم يعلمون ان في ذلك آية لكل عبد منيب.

حاسة الذوق

للّسان عدة وظـائف أحد هذه الوظائف التذوق «يحـتوي اللسان على «١٧» عضـلة للحركة، وعلى غشـاء مخـاطي يغلفه، وعصـب خـاص لتحريكه في كل نصف، أي عصبان رأسيان همـا العصب تحت اللسان الكبير في كل جانب، و «٦» اعصاب لنقل الحس، ثلاثة في كـل جانب هي : العصب اللسـاني لنقل الحس من مقدمة الـلسان، العصب البلعومي اللسـاني مـن مؤخرة اللسان، العصب المبهم من البلعوم والمزمار.

وترقد في اللسان آلاف النتوءات والبراعم الذوقية، ويحس بالاطعمة من شتى المأكولات، وهو بعد كل هذا يستخدم في المضغ، والبلع والذوق، والتصويت، فأي ممثل عجيب الذي يقوم بكل هذه الادوار؟.

ولقد بلغت دقة التأثر في الذوق ان اللسان يحس بالطعم المر، ولو بلغ تركيزه على اللسان اربعة اجزاء من «١٠٠» الف، وهو مع ذلك، المكان الذي تخرج منه حروف كثيرة للنطق».

يقدر عدد النتوءات الذوقية في اللسان حوالي «٩٠٠٠» برعم موزعة على اللسان وقد خصصت كل منطقة من اللسان وكل نوع من البراعم لتذوق نوع واحد. فمقدمة اللسان يتذوق الحلو، والطعم المر في مؤخرة اللسان، وعلى جوانبه الطعم المالح والحامض. وبامكان اللسان التمييز بين اذواق لا تحصى من انواع الطعام.

فتبارك الله احسن الخالقين.

«ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين». (التين/٩،٨)

حاسة اللمس

«ان هناك شبكة مخابرات هائلة منتشرة على مستوى سطح الجلد والطبقة التي تحته مباشرة!! وهي تنقل الاحساسات من العالم الخارجي، وهكذا تتعاون الحواس جميعا في تفهم المحيط الخارجي ــ ان انتشار الاعصاب تحت الجلد شيء لا يكاد يصدق ــ. وتنتهي الالياف العصبية بجسيمات خاصة يختص كل نوع منها بنقل حس معين، فهناك جسيمات تنقل الحر، واخرى تنقل البرد، وثالثة للمس والضغط، ورابعة لحس الالم، وخامسة تختص بنقل الحس العضلي. وهكذا تتنوع الاحساسات وتتباين.»

أمن الانصاف ان تنسب كل هذه «الغائيات» في هذه الجسيمات المتنوعة في الشكل المختلفة في الاداء، الى المادة والصدفة والطبيعة؟! ولا ننسبها الى

خالق قادر مريد حكيم، خلق كل شيء لغاية معينة! لاشك ان العقل النير، والتفكير السليم، يحكمان ــ وبلا تردد ــ اما بجنون الماديين والطبيعيين، او ان في قلوبهم عمى فهم لا يفقهون.

«انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور».

تنتشر في جلد الانسان اعداد هائلة من الاجهزة الحساسة المعقدة، ففيه «٣ــ٥» ملايين جهاز حساس للألم، «٢٠٠/٠٠٠» جهاز للحر، و «٥٠٠/٠٠٠» جهاز للحس والضغط.

اما كيف تعمل هذه الاجهزة المعقدة، لنأخذ على ذلك ابسطها مثلا «قوس الانعكاس»:

«اذا لامست شيئاً ساخنا فانك تبعد يدك لا شعوريا بسرعة تبلغ «جزءاً من مائة من الثانية» ان هذا يتم بواسطة نقل التنبهات عن طريق الاعصاب الحسية التي تصل الى المنطقة الخلفية من النخاع الشوكي حيث تبلغ الاخبار الى الخلايا، وتقوم الخلايا بالاتصال بالمنطقة الامامية من النخاع حيث ترقد مفاتيح السيطرة على العضلات في خلايا القرون الامامية، ومن هناك تنطلق الاوامر الى الاعصاب المحركة للعضلات المناسبة فتنسحب اليد بسرعة مدهشة».

انظر عزيزي القاريء الى الدقة المتناهية في عمل هذه الاجهزة، والى الترابط والتفاهم فيما بينها. ومع كل هذا يريد منا الملحدون والماديون ان لا نتدبر هذه الآيات المحكمات، وان لا نؤمن بخالق قدير خلقها، ومدبر مريد دبرها.!

ربي اهد قومنا فأنهم لا يعلمون.

القلب

الهيكل العظمي

العضلات

الجهاز الهضمي

القلب

القلب على صغر حجمه وقلة وزنه فهو يعمل ليل نهار دأبا بلا كلل، القلب هذه المضخة العجيبة الغريبة، بل مضختان متجاورتان:

الاولى: تستقبل الدم النقي الوارد من الرئتين ـ حاملا الاوكسجين ـ الى الاذين الايسر، فتضخه الى البطين الايسر، وهو بدوره يضخه الى جميع اجزاء الجسم، ليزوده بالمواد الغذائية والاوكسجين، بالتعاون مع السائل اللمفاوي، الذي يعمل بجهاز خاص به.

ينتقل الدم عبر قنوات متشعبة هي الشرايين، والشرايين الدقيقة حتى تنتهي بالشعيرات، وهي دقيقة جداً، ويقدر طول الشرايين مع الاوردة في الجسم حوالي «٩٦» الف كيلومتر.

الثانية: تستقبل الدم الفاسد حاملا ثاني اوكسيد الكاربون من انحاء الجسم، بواسطة الاوردة، الى الاذين الايمن، ثم يضخه الى البطين الايمن وهو بدوره يضخه الى الرئتين ليتخلص هناك من ثاني اوكسيد الكاربون ويتزود

بالاوكسجين، وتتم هذه العملية «الكيميافيزية» ـ الدورتان الصغرى والكبرى ـ بثوان معدودة تقدر بعشرين ثانية.

ينبض القلب بمعدل «٧٠» ضربة في الدقيقة، أي ما يعادل «٢٠٠٠» مليون ضربة في متوسط العمر، وفي كل ضربة قلب آية تعظيم وتسبيح وتقديس، للخالق الباريء. وكم يمكننا ان نعدد من آيات في هذا الجهاز!؟ أفي الدم ومكوناته المتعددة في الاشكال، والمتنوعة في الاعمال، أم الكرية الواحدة ووظائفها المختلفة؟ وكم كرية حمراء وبيضاء يمكن تعدادها في هذا الوجود، من يوم خلق الله آدم والى يوم القيامة؟ وفي كل ملمتر مربع اكثر من «٥» ملايين كرية حمراء؟ وآلاف من الكريات البيضاء؟ علما انه تموت في كل ساعة «١٠» مليارات كرية حمراء وتنشأ بقدرها في الوقت نفسه وأية آية عظمى هذا القلب الذي لا يكل ولا يمل من الحركة، وهو على حاله لا يتآكل ولا يتصدع! ولو كان من الصم الصلاب لما استقام ودام.

وأية آية كبرى في تصميمه بالنحو الذي هو عليه بتجاويفه وصماماته ولماذا هذه المطاطية في الشرايين والاوردة؟ أالحكمة هناك، أم هذا من صنع الصدفة، أو المادة؟ ولماذا يسير الدم بالشكل الذي رسم له ولا يغير مساره؟ أليس الاعمال الغائية آيتين ظاهرتين في هاتين المضختين ـ القلب ـ.

بماذا يفسر الماديون هذا؟ ان أي خلية لا تعيش الا بنواتها، الا الكرية الحمراء فانها لا تعيش ولا تنشط ولا تؤدي عملها الا بعد فقد نواتها!!. اين الطبيعة من هذا واين الصدفة؟.

الهيكل العظمي

يحتوي جسم الانسان على «٢٠٦» عظما ـ في الرجل البالغ، وما يقرب من «٣٠٠» في الطفل ـ مختلفة الاشكال والاوضاع، كل بما يناسب مكانه في الجسم، واهمية العضو داخله، واداء عمله، فهو في الجمجمة غيره في القفص

الصدري، وهو غيره في العمود الفقري، او الحوض والساق. ويختلف في المرأة عن الرجل، كما في عظام القفص الصدري وعظم الحوض، لحاجة المرأة حين الحمل الى سعة الحوض، وتسيب لبعض الاضلاع.

وترتبط العظام ببعضها بواسطة المفاصل، ليتسنى للانسان الحركة كالقيام والقعود، والانحناء والقفز والمشي والمسك، وغيرها من الحركات التي يقوم بها، ومن مقومات الحركة ايضاً العضلات والانسجة، تعمل هذه المقومات الثلاث؛ العضلات والعظام والانسجة الرابطة، في توافق تام ودقيق للغاية، يدل على الغاية والقصد والتدبير.

«فعندما تكون حركة العظام ضارة، كما في الحوض والجمجمة، نجد ان المفاصل شديدة الصلابة وملتصقة ببعضها ومتشابكة، اما اذا كانت العظام ضرورية كما هي الحال في الورك او الكتف، فنجد ان المفاصل ذات مرونة ومبطنة بالغضاريف، وهي نسيج ناعم يقاوم الاحتكاك ، ومزلق بافراز سائل الزلال الذي يعتبر بمثابة زيت المفصل».

هذه لمحة خاطفة عن الهيكل العظمي تريك الآيات الباهرات سواء في تركيبها، أو في تصميمها وترتيب العظام وتوزيعها من الرأس الى القاعدة واداء وظيفتها، في اجزائها ومحتوياتها، في ارتباطها بالعضلات والانسجة، في تحملها للعمل اليومي المضني وهو بدرجة من الضخامة بحيث اذا تعرضت له بعض الآلات للقيام به لتلفت في بضع سنوات فقط، اضف الى ذلك، الاعجاز في كيفية تغذية العظام ونموها، واصلاح نفسها بنفسها حينما تتعرض الى الكسر، وارتباطها بالشرايين والاوردة والاعصاب الحسية، وكيفية تجمع المادة الكلسية فيها، ولماذا لم تتجمع في المعدة او الرئتين مثلا!؟.

«فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والارض وعشياً وحين تظهرون». (الروم/١٧)

العضلات

في الجسم مايقرب من «٦٠٠» عضلة مختلفة الاشكال والاوضاع يؤدي تقلصها وانبساطها الى الحركة، يتحكم الانسان في قسم منها، اما القسم الآخر فلا يخضع الى سلطان الارادة بعمله، مثل العضلات الحشوية للمعدة والامعاء، والعضلات الخاصة بالقلب.

وأي حركة في أي موضع من الجسم تشترك فيه عضلتان أو أكثر، فعند تقلص عضلة تنبسط قبالها اخرى. والعضلات موزعة في جميع انحاء الجسم بشكل يناسب مكانها واداء العمل المراد منها، فمنها ما هو مرتبط بالعظام بواسطة اوتار تكون عادة اقل مرونة من العضلات، ومنها مالا يرتبط بالهيكل العظمي، كالعضلات الداخلية. فالعضلات في الصدر غيرها في الوجه، وفي الساق غيرها في البطن وهكذا، فهي في اشكالها واوضاعها تدل على الغاية من وجودها.

والعضلة بالاضافة الى كونها تساعد على الحركة، فهي تعطي الجسم منظره الجميل وتناسقه البديع.

وللعضلة القابلية السريعة على الالتئام، واستئناف العمل في الجزء المصاب منها، مايدعو الى الدهشة. وانها تعمل بسرعة خارقة وبقوة يمكن معها للعضلة ان تعمل في «بضع جزيئات في المائة من الثانية» محدثة قوة جبارة مركزة على العضلة المتصلة بها، ويمكنها عند الضرورة ان تتحمل بقدر وزنها «١٠٠٠» مرة.

وان في كل انبساطة للعضلة وكل انقباضة آية محكمة، تدمغ الصدفة، وتسخر من الماديين، الذين حرموا نعمة العقل، بما كسبت ايديهم ــ وما الله يريد ظلماً للعباد ــ حيث ان طبيعة هذه العملية ــ الانقباض والانبساط ــ عملية كيمائية كهربية ميكانيكية شديدة التعقيد يشترك فيها الجهاز العصبي، وجهاز الدوران، بالاضافة الى العضلة. فسبحانه من خالق مبدع قدير، فعّال لما يريد.

الجهاز الهضمي

ان هذا الجهاز هو الممون الوحيد للجسم بالمواد الغذائية، وهو جهاز في غاية التعقيد والروعة والابداع ــوأي جهاز في الجسم غير معقد؟! جلت قدرة الخالق وعظمت آياته وآلاؤهــ سواء في تصميمه أو اعماله، الميكانيكية منها والكيمائية.

يحول هذا الجهاز انواعاً كثيرة جداً من انواع الطعام الى المواد الغذائية الاساسية التي يحتاجها الجسم للوقود والبناء، يحولها إلى بروتينات ودهنيات ونشويات.

تبدأ عملية الهضم في الفم، والفم آية في الاعجاز، ومعجزة من الآيات البينات الدالات على القدرة والعظمة، وان كل قسم فيه خلق لغاية معينة، وليست صدفة عمياء، ولا طبيعة صماء!.

فالقواطع من الاسنان لها عمل خاص بها يختلف عن عمل الانياب، وهذه تختلف عن الاضراس، فالقواطع تقطع اللقمة، والانياب تمزقها، والاضراس تطحنها، واللسان يدور اللقمة داخل الفم، ثم يدفعها الى المرىء واللعاب يرطب اللقمة من جهة، ومن جهة اخرى يساعد على هضم النشويات.

وبعد ان يدخل الطعام الى المريئ، فهناك ثلاثة مغاليق تنظم سيره الى المعدة:

الاولى: تضمن عدم عودته الى الفم.

الثانية: تمنع من صعوده الى التجويف الانفي.

الثالثة: تصده عن الدخول الى القصبة الهوائية.

أصدفة وجدت هذه المغاليق، فاستفاد منها الانسان! رحمتك يارب! لقد كيّف ــسبحانهــ المريء بصورة يمر فيه الطعام الى المعدة على أية حالة، ولو كان الانسان مقلوبا على رأسه عند البلع، وحتى في حالة انعدام الجاذبية، كما يحدث

لرواد الفضاء.

وفي المعدة يبدأ التعقيد في الهضم، فالغذاء المهروس الوارد من الفم سيأخذ شكلا آخر حيث سيتحلل بفعل العصارات التي تفرزها الغدد المعوية، كالپپسين، والعامل المساعد «حامض الهايدروكلوريك» الى كاربوهيدرات «نشويات» وبروتينات ودهنيات. ولا ننسى ان نضيف الى التفاعلات الكيميائية هذه، عمل المعدة الميكانيكي الرحوي الذي يساعد على الخلط والهضم.

وبعد ان تجري على الطعام هاتان العمليتان، يكون قد آن الاوان لأن يدخل في مرحلة اخرى من الهضم، وهذه المرة محله الامعاء الدقيقة، وفي القسم الاول منه، ويدعى الاثناعشري:

«باحساس مرهف وقدرة على التمييز، يسمح جدار المعدة للكحول بالافلات، ولكنه يحجز جميع أنواع الاطعمة الاخرى تقريبا. وتعتمد الحركة التالية الى الامعاء على استعداد المواد، فالمواد النشوية تتقدم اسرع من البروتينات، اما الدهنيات فهي الأبطأ».

وفي الاثني عشري، تتم التفاعلات الكيمائية الجوهرية حيث تفرز فيها اقوى العصارات الهاضمة، عصارة غدة البنكرياس، وعصارة الكبد «الصفراء». وفيه تتحول المواد الكربوهيدراتية الى جزيئات من سكر الكلكوز، وتتحول البروتينات الى أحماض أمينية، والدهنيات الى احماض دهنية و «كليسرول».

وفي القسم الباقي من الامعاء الدقيقة، تقوم الخمائل ــ والخمائل عبارة عن نتوءات شعرية دقيقة تبطن الامعاء الدقيقة واعدادها بالملايين ــ بفصل المواد المفيدة للجسم عن غيرها، فتمتص المفيدة، الدهنيات منها تذهب الى جهاز اللنف، اما الاحماض الامينية والسكريات، فتذهب الى الكبد. وتدفع بغير المفيد الى الخارج عن طريق الامعاء الغليظة. وبهذا يكون الطعام قد مر بتغيرات جذرية

قبل ان يصبح صالحا لتغذية الجسم.

أرأيت هذا الجهاز؟!.

أرأيت الآيات فيه؟!.

اختلاف الاسنان حسب الحاجة، وجود اللعاب، عمله في تليين اللقمة واذابة النشويات، اللسان تدوير اللقمة ودفعها. حركة المريء الدودية، المادة المخاطية فيه. المعدة، حركتها، زغاباتها، عصاراتها المختلفة ـــ عصارات المعدة تذيب اللحوم الواردة اليها، وحتى المواد الصلبة فلماذا لا تهضم نفسها ولا تذيب لحمها؟! انها الصدفة والطبيعة أليس كذلك ايها...؟!ـــ. الاثناعشري، عصاراته، الامتصاص فيه، شعيراته، اتصالاته مع الدم، مع اللنف، مع الاعصاب. الامعاء الغليظة، حركته، خزنه ودفعه للمواد.

ماذا عسى ان يقوله الماديون عن اعمال هذا الجهاز، الميكانيكية والكيماوية؟!.

«أأله مع الله!! قليلا ماتذكّرون».

الكبد

جهاز التنفس

الكلية

الجهاز التناسلي

الصبغيات

الكبد

مر ذكر الكبد قبل قليل، ولا باس ان نعرف عنه شيئاً وعن عمله :

الكبد اكثر اعظاء الجسم مهارة، ولا يمكن الاستغناء عنه لدرجة ان الجسم يهلك بدونه خلال اربع وعشرين ساعة، ومن لطف الله تعالى على الانسان ان مكّنه ان يعتمد على جزء من الكبد يبلغ ربع حجمه، اذا كان يؤدي عمله بطريقة طبيعية. وللكبد قوة خارقة على الشفاء، فعندما يفسد جزء منه، يحاول انماء خلايا جديدة لتحل محلها. وللكبد اعمال كثيرة منها :

افراز المادة الصفراء، وهي احدى اكثر العصارات قوة على الهضم.

خزن الاحماض الامينية والسكريات بعد تحويل الاخيرة الى «الكليكوجين» الصالح للخزن، ثم اعادته الى كلكوز، يطلقه تدريجيا بكميات

قليلة الى مجرى الدم.

تزويد الجسم بالاحماض الامينية ــ الوحدات الاساسية للبروتين ــ.

انتاج مواد كيمائية معقدة يحتاجها الجسم ــ كالكولسترول ــ وغيره.

ترشيح الكريات الحمر المسنة.

تخليص الجسم من السموم والعقاقير المأخوذة من الخارج. وغير ذلك.

ماذا نحكم على من يقول لكل ما مر أنه وجد بالصدفة!؟.

أليس لهؤلاء آذان يسمعون بها!؟.

أليس لهؤلاء اعين يبصرون بها؟!.

أليس لهؤلاء قلوب يفقهون بها!؟.

«ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم». (البقرة/٧)

«في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون». (البقرة/١٠)

جهاز التنفس

يحتاج الجسم لادامة الحياة فيه، الى الطعام والماء والهواء، وهذه الثلاثة يتناولها الانسان من الخارج كمواد اولية، يشوب بعضها مواد ليست ذات فائدة للجسم، وبعضها غير قابل للهضم، وآخر يفيض عن حاجة الجسم، وما يسببه الاحتراق والتفاعلات الكيميائية داخل الجسم، كل هذه الفضلات لا تنفع الجسم، بل تضره اذا بقيت داخله.

وهنا تظهر الآيات الباهرات الدالات على القدير العليم ــ تقدست اسماؤه ــ وان كل شيء خلق لغاية، وان ليس في الوجود شيء خلق عبثاً، او مصادفة، فالفائض من الطعام له مخرجه، والمضر من الماء والهواء له سبيله، بعد ان تمر جميعا في تفاعلات كيميائية معقدة للغاية.

قد مر سابقا ما يجري منها على الطعام، ونذكر هنا شيئاً عما يجري على الهواء والماء من حركات ميكانيكية، وتفاعلات كيميائية.

يدخل الهواء الى الرئتين عن طريق الانف، والانف اضافة الى كونه ممرا للهواء، فهو مصفي له مما يعلق به من غبار، فالشعيرات داخله والمادة المخاطية والتعاريج، كلها تمنع من وصول الغبار الى الرئتين، واذا ماأفلت منه شيء، فالمادة المخاطية في القصبات له بالمرصاد.

وقفة ودمغة

نتوقف قليلا عن الحديث ــ في التنفس ــ لننبه عن شيء يدمغ من ينكر الغاية والقصد والتدبير والارادة في هذا الخلق، خاصة في الانسان نفسه. فكل عضو فيه خلق لاكثر من غاية واحدة، والذي اوقفنا هذه الوقفة هو السائل المخاطي في الانف! فهو بالاضافة الى اقتناصه للغبار، يرطب الهواء الجاف، ويدفيء الهواء البارد. والقصبة الهوائية مضافا الى انها الطريق لمرور الهواء فهي تكمل عمل الانف الآنفة الذكر. والرئتان تزود الدم بالاوكسجين وتخلصه من ثاني اكسيد الكاربون، والكلية تخلص الدم من النفايات، وتقوم بتنظيم التركيب الكيميائي للدم، وتحفظ التوازن بين املاح الجسم ومائه. والاسنان تقطع اللقمة وتمزقها وتطحنها، وتساعد على النطق واخراج الحروف، وهي جمال للوجه، واللسان لتدوير اللقمة ودفعها، وللنطق والتذوق. والشفتان للنطق، ولغلق الفم، ولجمال الوجه.. و.. وهكذا.

أليست هذه الأعمال الغائية في اعضاء الجسم واجهزته، دمغة قوية، للماديين والطبيعيين والصدفيين ــ ان صح هذا التعبير ــ؟

وبعد ان يتخطى الهواء الأنف والقصبة الهوائية، يكون قد نال التصفية التامة، فيمر في الشعيبات فالحويصلات فيقوم بتفريغ شحنته من الاوكسجين في الدم الوارد الى الحويصلات عن طريق الشريان الرئوي، بتفاعلات كيميائية،

ويفرغ الدم شحنته من ثاني اوكسيد الكاربون المحمل به، الناتج عن احتراق مركبات الكاربون في خلايا الجسم بتفاعلات كيميائية معقدة ايضا، ثم يعود بعد ذلك الى القلب بواسطة وريد رئوي. وبهذه الطريقة يكون الجسم قد تخلص من ثاني اوكسيد الكاربون وتزود بالاوكسجين.

ويقدر ما تحويه الرئة من حويصلات «٣٠٠» مليون حويصلة.

وتبلغ المساحة المغطاة بغشاء الحويصلات الهوائية حوالي «٥٥» مترا مربعا.

الكلية

تعتبر الكلية اكثر اعضاء الجسم تعقيدا ــ باستثناء المخ ــ وهي ثالث ثلاثة من الاجهزة المفرغة للفضلات، فجهاز الهضم موكل باخراج المواد الصلبة والجامدة من الفضلات، وجهاز التنفس موكل بالغازات الضارة، والكلية موكلة بالسوائل مذابا فيها مركبات النتروجين، والسلفات، والفوسفات.

«ان الطريقة التي تنقي بها الكليتان الدم من النفايات التي علقت بها الخلايا معجزة في العبقرية، فعندما يتدفق الدم الى الكليتين، فانه يتفرع في الحال الى مجموعات من الشعيرات الدموية، تسمى كل مجموعة بالكبيبة. وهي من الدقة بحيث يصعب على العين رؤيتها، ويحتويها بأحكام غشاء مزدوج، يؤدي الى قناة دقيقة، انبوبة صغيرة، وتكوّن الكبيبة والغشاء والقناة الدقيقة وحدة عمل شديدة التعقيد تسمى بالوحدة الكلوية، يوجد منها في الجسم حوالي مليون ونصف، اذا جعلت جميع قنواتها منبسطة فقد يبلغ طولها زهاء «٨٥» كيلومترا.

ولا يقتصر عمل الكليتين على مجرد انتقاء النفايات من الدم وارسالها للتخلص منها نهائيا، فاثناء مرور الدم في الكبيبات يرشح الكثير من سائله المحمل بمواد كيميائية مفيدة ونفايات ذائبة. وبمجرد خروجه من الاغشية يمر في القنوات الدقيقة التي تبدأ من اعادة كل ذي قيمة وقابل للاستعمال الى الدم، تاركة

النفايات حبيسة خارجه. ويتم اصطياد المواد النافعة عن طريق عملية كيميائية، فبينما تلتوي الانابيب الصغيرة وتلتف مبتعدة عن الكبيبات، فانها تعود ثانية الى ملامسة شعيرات دموية اخرى. وهنا تحتجز السكريات والاملاح المفيدة التي رشحت في القنوات بواسطة انزيمات، وترسل ثانية الى الدم، وفي نفس الوقت تعاد جزيئات الماء بقوة الضغط. ولا يمكن للجسم ان يتحمل فقدان كمية الماء التي قدرت بـ«١٥٠» لتراً، والتي ترشح يوميا في القنوات لاذابة النفايات، وعلى ذلك يجب سحب اغلبية هذه الكمية ثانية الى الدم. فحوالي «٩٩٪» من السائل الذي يرشح من الانابيب الصغيرة يعاد سحبه الى الدم، بينما تتحول الكمية الباقية وهي «١٪» من النفايات اثناء مروره نازلا في القنوات الى بول، الذي يتخذ طريقه نازلا في قناتين اخريين هما الحالبان ثم المثانة في انتظار اخراجه».

الجهاز التناسلي

«ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين». (المؤمنون/١٢ــ١٤).

ذكرنا سابقا ان خلايا الجسم تتكون من «١٨» عنصراً معدنيا وان هذه العناصر نفسها من مكونات التراب، وكان خلق الانسان منه، وفي هذه الآية الكريمة اشارة الى ذلك، «**خلقنا الانسان من سلالة من طين**».

من عناصر التراب الميتة خلق بشراً، فجعله سميعا بصيرا، له حياة ،«**يُخرج الحي من الميت**» أليس في ذلك آية؟ ومن هذا الحي تخرج اشياء كثيرة ميتة، كبويضة المرأة، والاظفار، والشعر، والفضلات، وغيرها، «**ويُخرج الميت من الحي**» أليس في هذا آية اخرى؟.

وبعد ان ذكر سبحانه خلق الانسان الاول، انه خلق من طين، ومنه

انتشر في الارض.

«ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون».
(الروم/٢٠)

«وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون». (انعام/٩٨)

بين جلت قدرته المراحل التي يمر بها الانسان من حين كونه نطفة الى ان يصبح خلقا سويا. وفي كل مرحلة من هذه المراحل آيات وعجائب وغرائب تندهش لها العقول وتحير لها الالباب، وسوف نتعرض لما يناسب هذا المختصر.

كيف تنعقد النطفة

ان جهازي التناسل عند المرأة والرجل هما المسؤولان عن ادامة النوع عند الانسان. فالرجل يعد الحويمنات، والحويمن يشبه الدبوس في شكله، له رأس وذنب، والذنب يكبر الرأس بعشر مرات، يستعين بذنبه على السباحة في السائل المنوي، ثم يستغني عنه بمجرد وصوله الى بويضة المرأة حيث يفقد الحاجة إليه، والخصيتان هما المسؤولتان عن تحضير هذه الحويمنات والسائل الذي تسبح فيه.

«ألم نخلقكم من ماء» مهين. فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون». (المرسلات/٢٠ــ٢٣)

«تتكون الخصية من مجموعة ضخمة من الانابيب المنوية التي تلتوي وتتحلزن بشدة بحيث ان طول الانبوب الواحد يصل الى المتر، ويجتمع من هذه الانابيب ما يقرب من ألف أنبوب، وتصب هذه الانابيب في ما يسمى «البربخ» وطول هذا البربخ ستة أمتار، ومنه لتصب في خزان ما يسمى بالحويصل».

يقذف الرجل في كل مرة ما يقرب من «٥٠٠» مليون حويمن، وتدفع المرأة من مبيضها الى الرحم في كل شهر بيضة واحدة، وتنتج المرأة «٣٠٠» ألف

بويضة فقط.

العفة في البويضة

ان الخمسمائة مليون من الحويمنات التي يقذفها الرجل في رحم المرأة تتسابق جميعها لتنال الشرف الرفيع في تكوين خليفة الله في الأرض:

«واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة». (البقرة/٣٠)

بتلقيحها للبويضة. ولكن البويضة لا تقبل من هذه الملايين سوى حويمن واحد تقترن به، ثم تنغلق عليه وعلى نفسها فلا تسمح لغيره بعد ذلك ابدا. فياللعفة والنزاهة!.

وعلى المسلمات ان يتخذن من عفة البويضة لهن مثلا.

وبعد ان يلتحم الحويمن بالبويضة تنعقد النطفة، ومنذ انعقاد النطفة حتى يكمل الجنين يكون قد ازداد وزنه اكثر من «٣٠٠٠» مليار مرة، فان وزن النطفة «١» من مليار من الغرام، ومتوسط مايصل اليه وزنه عند الولادة «٣٢٥٠» غرام.

سؤال

وهنا نسأل الطبيعيين:

من طبيعة الجسم أنه يرفض الاجسام الغريبة ومنها المكروبات، فبمجرد دخول المكروب الى الجسم يهاجم وبلا هوادة من قبل الكريات البيض الموجودة في الدم، فلماذا تغافل عن «٥٠٠» مليون حويمن؟

لماذا لم يدافعهم حتى ولم يحرك ساكنا؟ بل بالعكس تراه يحتفي بهم، ويتهيأ لهم، ويحميهم، ويهيىء لهم كل الاسباب ليوصلهم الى المكان الذي يسعون إليه!

أخوفا من هذه الأعداد الكبيرة؟ فان اعداد الكريات البيض اضعاف مضاعفة لهذا العدد، وان الجسم يزود الدم بما يفقده من هذه الكريات في الحال.

اذاً ماذا اجيبونا ايها الطبيعيون؟

لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

الصبغيات

في الخلية الانسانية «٢٣» زوجا من الصبغيات، يتحدد بموجبها شكل الانسان وحجمه ولونه واجهزته وغير ذلك، زوج واحد منها يختص في تصميم الانوثة والرجولة. تحمل الخلية الانثوية «البويضة» زوجا متجانسا ــ انظر أخي القاريء الى الحكمة في هذه التقسيمات في الصبغيات عند الرجل والمرأة، ولينظر الماديون والملحدون ــ من هذه الصبغيات، يرمز لها بحرفي « xx » وتحمل الخلية الذكرية «الحويمن» زوجا غير متجانس من هذه الصبغيات يرمز لها « yx ». والذي يحدث في هذه الصبغيات ــ خلافا لبقية الصبغيات الاخرى ــ انها تنفصل من اعداد زوجية الى اعداد فردية، عند اجتماع صبغيات الرجل وصبغيات المرأة.

أليس في ذلك حكمة بالغة؟

أليس في ذلك قصد وتدبير، لا يجاد الخلق؟

هل تعقل الطبيعة والصدفة ذلك ؟.

تحديد النوع

«وانه خلق الزوجين الذكر والانثى. من نطفة اذا تمنى».

(النجم/٤٥،٤٦)

الآية الشريفة هذه تهدي الى ان نطفة الرجل هي التي تحدد نوع الجنين، ذكراً كان أم أنثى، فاذا كانت الصبغتان من المرأة والرجل متشابهتين عند الالتحام، أي « xx » كان الجنين انثى، اما اذا كانت الصبغتان مختلفتين « x y » كان الجنين ذكراً.

«لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور». (الشورى/٤٩)

القسم الثالث

تعالوا نتذكر الآخرة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

لطالما شغلت المفكرين و المتأملين مسألة الآخرة.. و لطالما احتار فيها العلماء و المتعلمون..

حتى طل علينا العصر الحديث فاذا النداء يأتينا من الغرب بضرورة مراجعة الفكر الانساني للالتفات الى مسألة الحياة الاخرى.

فأقرها فطاحلة العلماء ممن لا ينتمي الى دين او يتحيز الى فكر.. امثال (كير كجارد)، و(برجسون)، و(دوكاس). وكل قضية عادلة تعرض على مسرح العقل البشري يؤيدها العقلاء و يتنكر لها الجهال و المتطفلون على العلم.. و كانت الآخرة من احدى الفكر التي هزأ بها المتغافلون عن البراهين الساطعة. و لم نسمع من هؤلاء دليلا مقنعا لانكار الآخرة فاستنتجنا سببا لهذا الاصرار، هو التمادي في تخدير الضمير للتخلص من وخزه و تأنيبه، و محاولة التهرب من رقابة الخالق و التملص من الالتزام بالمباديء و القيم السامية، واطلاق العنان للاهواء والرغائب. الشيطانية الطائشة.

وازاء كل هذا الطمس لهذه الحقيقة الملحة.. فقد دلت الابحاث على ضرورة الآخرة...

فمن الجانب النفسي شوهدت النفس الانسانية وهي تشتاق الى عالم آخر طالما انتظرته بفارغ الصبر.

ومن الجانب الاخلاقي فقد اكدت الادلة العقلية بأن كل شيء في الكون يدل على العدل فكيف يموت الظالم وهو ظالم، والمظلوم وهو مظلوم بدون حساب؟ اذا لابد ان هناك عالما آخر يثاب فيه المحسن ويعاقب فيه المسيء. والا فان التاريخ البشري يفقد كل معنى.

اما الضرورة الكونية فقد تحققت بالادلة القطعية لدى علماء الطبيعة بنفي صفة الازلية عن المادة، و لابد لهذا العالم من نهاية حتمية، وقيامة كبرى تكون خاتمة للقيامات الصغرى التي تمر بها عوالم الانسان و الحيوان و النجوم و الحضارات المتلاشية و الحقب الزمنية الفانية.

و اخيرا تحققت علمية اثبات الآخرة عن طريق الشهادة التجريبية فان الحياة التي ظهرت مرة واحدة يمكن ان تعيد نفسها، و ان الخالق -بالتأكيد- يستطيع من جديد خلق الحياة التي انشأها للمرة الاولى و هذا الدليل قد صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى:

«اولم يروا ان الله الذي خلق السموات و الارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير» (الاحقاف ٣٣)..

و لذلك قال البروفسور دوكاس: ان بقاء الحياة بعد الموت لعلها الوحيدة من عقائد الدين الكثيرة التي يمكن اثباتها بالدليل التجريبي.

وتظل مشكلة الضبط الاجتماعي محيرة لعقليات الفلاسفة و رجال السياسة و علماء النفس و الاجتماع.. وعلى امتداد التاريخ تبقى معضلة السلوك الاجتماعي مادة تفكير المفكرين، لاسيما و ان جميع وسائل الارهاب و التحذير و

الاغراء قد فشلت في تحقيق المهمة.

حتى انتبهت الابحاث الاجتماعية الى سلوكيات شريحة اجتماعية واعية عرفت بالالتزام الديني و التفكير الاخروي و افتراض الرقابة الدائمية على الذات و محاسبة النفس بوازع الضمير المتيقظ.

و هذا هو الحل الوحيد الذي يستطيع معالجة التدهور الحضاري بصورة صحيحة محافظا على انسانية الانسان و دافعا اياه نحو الخير و الاخاء.. و الا اصبحت الحياة مسرحا مأساويا بشعا. و هذا ما اعترف به احد مفكري الغرب و هو (برتراند رسل) حيث يقول: ان حيوانات عالمنا يغمرها السرور في حين كان الناس اجدر من الحيوان بهذه السعادة، ولكنهم محرومون من نعمتها في عالمنا الحديث.

و لاجل تحقيق السعادة الدنيوية اسدل الباري -عز و جل- عناية و اهتماما بعرض الاخرة و تبيانها للناس كي يفيقوا من غفلاتهم و يتبعوا الحكمة في امورهم، و لتكون الدنيا دار امل كبير في نيل رضوانه و ثوابه -عز و جل- و كما قال الامام علي (ع): (ان الدنيا دار صدق لمن صدقها و دار موعظة لمن اتعظ بها، و دار عافية لمن فهم عنها، و مسجد احباب الله، و متجر اوليائه، اكتسبوا منها الرحمة، و ربحوا منها الجنة).. و الآخرة اصل من اصول ديننا، وقد حذر الله سبحانه و تعالى منها من القى السمع و هو شهيد، فقال عز من قائل: **«ياايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم»** (الحج ١) و قال -عز و جل- ايضا **«و اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله»** (البقرة ٢٨١)، و امرنا بالاستعداد لها **«ولتنظر نفس ما قدمت لغد»** و قال ايضا: **«و تزودوا فان خير الزاد التقوى»** (البقرة ١٩٧). و لذلك اجاب الامام علي (ع) رجلا يهوديا كان يسأله: ما الصعب و ما الاصعب؟ قائلا له: الصعب: القبر، و الاصعب: الذهاب بلا زاد.

فلكي نستمتع برضا الله -جلّ و علا- وننال ثوابه.. تعالوا نتذكر الآخرة.

الدنيا

الدنيا كما يصورها الامام علي(ع)

قال امير المؤمنين علي(ع) في احدى خطبه يصف الدنيا: «دار بالبلاء محفوفة، و بالغدر موصفة، لا تدوم احوالها، ولا تسلم نزالها، احوال مختلفة، و تارات متصرفة، العيش فيها مذموم، و الامان فيها معدوم، و انما اهلها فيها اغراض مستهدفة، ترميهم بسهامها، و تفنيهم بحمامها».

و قال في خطبة اخرى: «فاحذروا الدنيا فانها غدارة غرارة خدوع، معطية منوع، ملبسة نزوع، لا يدوم رخاؤها، و لاينقضي عناؤها، ولا يركد بلاؤها».

المؤمن في الدنيا

الدنيا خير دار لمن لم يتخذها دارا او كما قال امير المؤمنين(ع) يصف الزهاد: «كانوا قوماً من اهل الدنيا و ليسوا من اهلها، فكانوا فيها كمن ليس منها» لانها دار عمل، دار امتحان و اختبار، و هي الطريق الى الآخرة، الى دار الخلود حيث النار ابدا او الجنة ابدا. فالعمل فيها بالصالحات يوصل الى مرضاة الرب فيؤتيهم ثواب الدنيا و الآخرة:

«فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة و الله يحب المحسنين»(آل عمران ١٤٨).

في الدنيا الظفر و النصر على الاعداء:

«انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد»(غافر٥١) .

و الرضا بما قسم، و القناعة ذلك الكنز الذي لايفنى، و الملك الذي لايبلى، و راحة البال:

«و قيل للذين أتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا»(النحل ٣١)

و يشرح صدورهم ولا يجعلها ضيقة، و ليس كالكافر الضال الذي وصف ـسبحانهـ حاله في الدنيا فقال عنه:

«... ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء...»(الانعام ١٢٥).

و يدفع عنهم البلاء النازل فيها و ينجيهم منه، كما أنجى امما آمنت بربها و صدقت بأنبيائها، فقد انجى نوحا و الذين آمنوا معه:

«فكذبوه فانجيناه و الذين معه في الفلك و اغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين»(الاعراف ٦٤).

و كما انجى هودا و من آمن من قومه:

«فأنجيناه و الذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا و ما كانوا مؤمنين»(الاعراف ٧٢).

و كذلك ينجي الله المؤمنين، هذا في الدنيا، و في الآخرة الفوز و الخلود في الجنة و النعيم الدائم. و لولا هذه الدنيا لما استحق الانسان كل هذا الجزاء العظيم، فطوبى للعاملين فيها بأوامره، المنتهين عن نواهيه، و حسن مآب.

غير المؤمن في الدنيا

اما غير المؤمن، اما الذين غرتهم الدنيا فركنوا اليها و اصبحت كل همهم. اما الذين يحرصون كل الحرص فيتمنون لو يعمرون فيها:

«و لتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون»(البقرة ٩٦)

ومهما اوتوافيها من المال و الجاه و السطوة و السلطان فهم في ضنك من العيش:

«ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا»(طه ١٢٥).

رضوا بالارذل الادنى و فتنوا انفسهم بالشهوات و الملذات الزائلة و بالذهب و الفضة:

«زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب»(آل عمران-١٤).

و ما ذلك الا متاع الحياة الدنيا، و متاع الدنيا قليل:

«... قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى...»(النساء ٧٧).

«نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ»(لقمان ٢٤).

«لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد. متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد»(آل عمران ١٩٦، ١٩٧).

فالمغرور من غرته هذه النعم الزائلة الفانية و شغل بها و جعلها الغاية و لم يجعلها الوسيلة الى بلوغ رضوان الله و نعيمه الدائم الذي لا انقضاء له ولا زوال.

و غير المؤمن اذا ملك المال طغى، و اذا ملك السلطان سعى في الارض الفساد:

«ان الانسان ليطغى. أن رآه استغنى»(العلق ٦، ٧).

«و اذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد»(البقرة ٢٠٥).

المال و السلطان نعمة ينعمها الله سبحانه على الانسان تستوجب الشكر، فيبدلها الكافر كفرا و طغيانا و صدا عن سبيل الله:

«الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار. جهنم يصلونها وبئس القرار»((ابراهيم ٢٨، ٢٩).

«ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون»(الانفال ٣٦).

لا تنفعهم نصيحة و لايفيدهم انذار:

«ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون»(البقرة ٦).

واذا ما املى لهم -سبحانه- في هذه الدنيا فليس حبأبهم و لاكرامة لهم و لكن !؟:

«ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين» (آل عمران ١٧٩).

و لان الدنيا و ما فيها لا تعدل عند الله جناح بعوضة فما قيمة ما يعطى فيها الكافر مهما كثر، و لولا ان يساق الناس سوقا الى الكفر لجعل الله سبحانه لمن يكفر به:

«.. لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون. و لبيوتهم ابوابا و سررا عليها يتكئون. و زخرفا ...»(الزخرف ٣٣، ٣٤، ٣٥).

سأل سائل

رب سائل يسأل و هل يترك هؤلاء بدون عقاب في هذه الدنيا ؟! ام أنهم يعاقبون ليكونوا عبرة لمن يعتبر، و عظة لمن يتعظ ؟

كلا. فلقد انتقم -سبحانه- من الكافرين والظالمين على مر العصور و الاعوام، و كر الدهور و الايام، فلم ينصرهم من الله ناصر، و لم تنفعهم اموالهم ولا اولادهم ولا سلطانهم. و اليك نبأهم، ولا ينبئوك مثل خبير، قال تعالى:

«فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا و الآخرة ومالهم من ناصرين» (آل عمران ٥٦).

و قال الله يصف حالهم في الدنيا بانهم خائفون مرعوبون و ان ملكوا كلّ

شيء!!

«سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين» (آل عمران ١٥١).

و كم قص علينا القرآن الكريم من قصصهم و كيف اخذهم الله نكال الدنيا و الآخرة، فاعتبروا يا اولي الالباب:

«ولقد علمتم الذين اعتدوامنكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين. فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين» (البقرة ٦٥، ٦٦).

«وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين. وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين. فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا و ماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون» (العنكبوت من ٣٨ ـالى ـ ٤٠).

ما اكثر العبر

و لنا بما فعل الله بالذين كذبوا الرسل ـمن قبلناـ عبر وعظة:

«لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب» (يوسف ١١١).

فهؤلاء قوم صالح و قوم شعيب (ع):

«فأخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين» (الاعراف ٧٨).

و هؤلاء قوم لوط (ع):

«فانجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين. وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين» (الاعراف ٨٣، ٨٤).

و اما الذين كذبوا موسى (ع):

«فارسلنا عليهم الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم آيات مفصلات فاستكبروا و كانوا قوما مجرمين» (الاعراف ١٣٣).

«فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا و كانوا عنها غافلين» (الاعراف ١٣٦).

امة محمد (ص)

و اكراما لنبينا نبي الرحمة، و لبيان فضله على سائر الانبياء و المرسلين، رفع سبحانه وتعالى، عن امته العذاب في الدنيا لسببين:

الاول: لوجوده - عليه و على آله الصلاة والسلام - بينهم.

الثاني: لاستغفارهم من الذنوب التي يقترفونها، قال عز اسمه:

«وما كان الله ليعذبهم و انت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» (الانفال ٣٣).

الاحتضار

ساعة الاحتضار

انها ساعة حاسمة لها اهمية مصيرية لانها تغلق فيها على الانسان ابواب التوبة و التراجع مالم يكن قد تاب من قبل. استمع الى علي(ع) و هو يصف تلك الساعة وحال الانسان حين خروج الروح و نزول الموت به:

«... فغير موصوف ما نزل بهم، اجتمعت عليهم سكرة الموت، و حسرة الفوت، ففترت لها اطرافهم، و تغيرت لها الوانهم، ثم ازداد الموت فيهم ولوجا، فحيل بين احدهم وبين منطقه، و انه لبين اهله ينظر ببصره و يسمع بأذنه، على صحة من عقله، و بقاء من لبه يفكر فيم افنى عمره، و فيم اذهب دهره، و يتذكر اموالاً جمعها، اغمض في مطالبها واخذها من مصرحاتها و مشتبهاتها، قد لزمته تبعات جمعها، و اشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها و يتمتعون بها، فيكون المهنأ لغيره، و العبء على ظهره. و المرء قد غلقت رهونه بها فهو يعض يده ندامة على ما اصحر له عند الموت من امره، و يزهد في ما كان يرغب فيه ايام عمره، و يتمنى ان الذي كان يغبطه بها، و يحسده عليها قد حازها دونه!!.

فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط لسانه سمعه فصار بين اهله لا ينطق بلسانه، و لايسمع بسمعه، يردد طرفه بالنظر في وجوههم يرى حركات السنتهم و لايسمع رجع كلامهم.

ثم ازداد الموت التياطاً فقبض بصره، كما قبض سمعه، و خرجت الروح من جسده فصار جيفة بين اهله، قد اوحشوا من جانبه، و تباعدوا من

قربه، لايسعد باكيا، و لايجيب داعيا.

ثم حملوه الى محط في الارض، و اسلموه فيه الى عمله، و انقطعوا عن زورته».

في وصف الموت

عن امير المؤمنين علي(ع) في احدى خطبه:

«... فان الموت هادم لذاتكم، و مكدر شهواتكم و مباعد طياتكم زائر غير محبوب، وقرن غير مغلوب، و واتر غير مطلوب، قد اعلقتكم حبائله، وتكنفتكم غوائله، و اقصدتكم معابله[٦] وعظمت فيكم سطوته، و تتابعت عليكم عدوته، و قلت عنكم نبوته، فيوشك ان تغشاكم دواجي ظلله، و احتدام علله، و حنادس غمراته، و غواشي سكراته، و اليم ازهاقه، و دجو اطباقه، و جشوبة مذاقه..».

موت المؤمن و موت الكافر

قيل للامام الصادق جعفر بن محمد(ع): صف لنا الموت. فقال: «للمؤمن كاطيب ريح يشمه، فينعس بطيبه، و ينقطع التعب و الالم كله. و للكافر كلسع الافاعي، و لدغ العقارب او اشد. قيل: فان قوما يقولون: انه اشد من نشر بالمناشير، و قرض بالمقاريض و رضخ بالاحجار، و تدوير قطب الارحية في الاحداق. قال(ع): كذلك هو على بعض الكافرين و الفاجرين، آلا ترون منهم من يعاني تلك الشدائد فذلكم الذي هو اشد من هذا و هو اشد من عذاب الدنيا».

وورد في شدة الموت: «ان الموت كشجرة شوك ادخلت في جوف ابن آدم فاخذت كل شوكة بعرق منه، ثم جذبها رجل شديد القوى فقطع منها ما قطع و ابقى ما ابقى».

و لعظمة شدة الموت كان الامام موسى بن جعفر(ع) يكثر في سجوده من

دعائه: «اللهم اني اسألك الراحة عند الموت و العفو عند الحساب».

المؤمن يحتضر

الاحتضار مرحلة يمر بها كل انسان و تختلف شدة النزع باختلاف الناس، فالمؤمن يهون عليه -جلت قدرته- سكرات الموت و شدة النزع عند قبض روحه، كما ان الملائكة تبشره بأن لا يخاف ولا يحزن من المصير المجهول الذي سيصير اليه في ساعة يكون فيها بأمس الحاجة الى البشرى و دفع الخوف عنه مما سيلقاه و على ما سيخلفه من مال و ولد. قال تعالى:

«الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون» (النحل ٣٢).

وقد ورد في تفسير كلمة «طيبين» طيب وفاتهم فلا يكون فيها صعوبة وفي كلمة «سلام عليكم» سلامة لكم من كل سوء، وقال تعالى:

«ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا و ابشروا بالجنة التي كنتم توعدون» (فصلت ٣٠).

فالمؤمن في سلامة وأمان من العذاب و الالام التي ترافق خروج الروح.

و في الخبر: «أنه -عظمت آلاؤه- يظهر للعبد المؤمن من اللطف و الكرامة و البشارة بالجنة مايزيل عنه كراهة الموت، و يوجب رغبته في الانتقال الى دار القرار فيقل تأذيه به ويصير راضيابنزوله، راغبا في حصوله».

وروي عن النبي (ص) انه رأى ملك الموت عند راس رجل من الانصار فقال له النبي (ص): «ارفق بصاحبي فانه مؤمن، فقال: أبشر يا محمد فاني بكل مؤمن رفيق».

و عنه (ص): «ان العبد المؤمن اذا كان في اقبال من الآخرة و انقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة بيض وجوههم كالشمس و معهم كفن من الجنة و حنوط من حنوط الجنة فيجلسون مد البصر ثم يجيىء ملك الموت حتى يجلس عند

رأسه فيقول: «ايتها النفس المطمئنة اخرجي الى مغفرة الله و رضوانه» ثم قال (ص): فتخرج و تسيل روحه كما تسيل القطرة من السقاء...».

و عنه (ص): «ان المؤمن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك و ضبائر الريحان و تسل روحه كما تسل الشعرة من العجين، ويقال: «ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية عنك الى رحمة الله و رضوانه».

و عن الامام الصادق (ع) عن النبي (ص) أنه قال: «من احب لقاء الله احب الله لقاءه، و من كره لقاء الله كره الله لقاءه، قيل يا رسول الله انا لنكره الموت، فقال (ص): ليس ذلك، ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله و كرامته فليس شيىء احب اليه مما امامه فأحب لقاء الله واحب الله لقاءه».

غير المؤمن يحتضر

اما غير المؤمن، اما الكافر، اما الظالم، فيكون الموت عليه عذابا صبا، لايماثله عذاب في الدنيا، لان عذاب الموت من عذاب الآخرة، و عذاب الاخرة - كما ورد - اشد من عذاب الدنيا. وقد ذكر القرآن الكريم بعضا من ذلك العذاب. فقال تعالى:

«... ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت و الملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن آياته تستكبرون» (الانعام ٩٣).

وقد ورد في «غمرات الموت» شدائد الموت عند النزع، و في «الملائكة باسطوا ايديهم» هم ملائكة العذاب يبسطون اليهم ايديهم بالعذاب يضربون وجوههم و ادبارهم، ثم يقال لهم اخرجوا انفسكم من سكرات الموت و من هذا العذاب الذي انتم فيه و هو عذاب الهوان.

و قال تعالى:

«فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم و ادبارهم» (محمد ٢٧).

وقال سبحانه:

«والنازعات غرقاً»(النازعات ١).

وهم الملائكة الذين ينزعون ارواح الكفار بعنف وشدة.

وعن النبي (ص): «... وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح من شعر فيه جمر فتنزع روحه انتزاعا شديدا، ويقال لها: ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى ربك ساخطة مسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه...».

وعنه (ص): «... وان العبد الكافر اذا كان في اقبال من الآخرة و انقطاع من الدنيا نزل اليه الملائكة من السماء سود الوجوه ومعهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر ثم يجيىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط الله و غضبه فتفرق في اعضائه كلها فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فينقطع معها العروق و العصب...».

و يبشر الكافر عند موته بما يخزيه و يحزنه ويزيد في شقائه وتعاسته و حسراته، و عندها يسأل من الله العودة الى دار الدنيا و امهاله و لو قليلا، و لكن هيهات هيهات!! فقد وقع القضا و ابرم المحتوم، فلا تنفعه قولته. وقد بين سبحانه هذا في كتابه المجيد، قال تعالى:

«حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون. لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا أنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون». (المؤمنون ٩٩، ١٠٠).

البرزخ

حال الانسان في البرزخ

البرزخ هو الفترة مابين الدنيا و الآخرة، و تبدأ من حين موت الانسان الى حين بعثه للحساب. و هو فيها كما ورد عن النبي (ص): اما في روضة من رياض الجنان، او حفرة من حفر النيران. و عن علي (ع) من خطبة له قال: «... فان وراءكم طالبا حثيثا و هو القبر، الا و ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران، الا و انه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول: انا بيت الظلمة، انا بيت الوحشة انا بيت الديدان...».

و جاء في معنى قوله تعالى: «ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا» (طه ١٢٥) ان المعيشة الضنكا في القبر حيث يكون في ضنك وضيق شديدين، و انه يتمنى لو تقوم الساعة ليتخلص من شر ما هو فيه.

مساءلة القبر

قال تعالى:

«يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة و يضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء» (ابراهيم ٢٧).

و المراد من قوله عز وجل: «وفي الاخرة» ـ كما ورد عن ائمة اهل البيت (ع) واكثر المفسرين ـ سؤال القبر.

و ورد في احاديث عدة ان الانسان اذا انزل في قبره يسأل عن ربه و دينه و نبيه و غير ذلك.

فعن امير المؤمنين (ع) قال: «ان ابن آدم اذا كان في آخر يوم من الدنيا

و اول يوم من الآخرة مثل له ماله و ولده و عمله، فيلتفت الى ماله فيقول:

«والله اني كنت عليك لحريصا شحيحا، فالي عندك ؟». فيقول:

«خذ مني كفنك».

فيلتفت الى ولده فيقول:

«والله اني كنت لكم لمحبا و عليكم لحاميا، فالي عندكم؟. فيقولون:

«نؤديك الى حفرتك نواريك فيها».

فيلتفت الى عمله فيقول:

«والله اني كنت فيك لزاهدا، و ان كنت علي لثقيلا، فاذا لي عندك ؟».

فيقول: «انا قرينك في قبرك، و يوم نشرك، حتى اعرض انا و انت على ربك».

قال: «فان كان لله وليا أتاه اطيب الناس ريحا، و احسنهم منظرا، و احسنهم رياشا، فقال: أبشر بروح و ريحان و جنة نعيم، و مقدمك خير مقدم، فيقول له: من انت؟ فيقول: انا عملك الصالح، ارتحل الى الجنة، و انه ليعرف غاسله، و يناشد حامله ان يعجله... قال: و اذا كان لربه عدوا فانه يأتيه اقبح خلق الله زيا و أنتنه ريحا، فيقول: أبشر بنزل من حميم و تصلية جحيم، و انه ليعرف غاسله، و يناشد حملته ان يحتبسوه..».

القيامة

و من اسماء يوم القيامة «الصاخة» تصخ الاسماع اي تصكها، و «الآزفة» القريبة، و «القارعة» تقرع القلوب باهوالها و «الغاشية» تغشى الناس باهوالها و «يوم الفصل» يفصل فيه بين الخلائق، «الطامة الكبرى» الداهية التي تطم، اي تعلو و تقهر.

من مشاهد القيامة

لا تكاد سورة من سور القرآن الكريم تخلو من ذكر مشهد او اشارة او تلميح ليوم القيامة. و توخيا للاختصار و تجنبا من الاطالة نذكر بعض هذه المشاهد لهذا اليوم العظيم الذي ـ كان مقداره خمسين الف سنة ـ بما يناسب هذاالمختصر.

قال تعالى:

«ياايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم. يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» (الحج ١، ٢).

ياله من مشهد رهيب!! فيه زلزال عظيم، و ذهول واي ذهول هذا الذي تذهل فيه الام ـ على عظيم حنانها ـ عن وليدها، وأي هول كبير هذا الذي تلقي فيه الحوامل احمالها، و يكون الناس فيه سكارى و ماهم بسكارى؟! وليت الاهوال هذه و كفى، ولكن يتعداه حتى يفر احدهم من اقرب المقربين اليه:

«فاذا جاءت الصاخة. يوم يفر المرء من اخيه. وامه وابيه. و صاحبته وبنيه». (عبس ٣٣ الى ٣٦).

و يشيب لهوله الولدان، و تتصدع السماء، فتنفطر، و تتزلزل الارض، و تفتت الجبال الصم فتصبح اكداسا من الرمل الناعم، او تكون كالقطن المنفوش المتطاير.

«فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا. السماء منفطر به كان وعده مفعولا» (المزمل ١٧، ١٨).

«يوم ترجف الارض والجبال و كانت الجبال كثيبا مهيلا».

«فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة. وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة. فيومئذ وقعت الواقعة. وانشقت السماء فهي يومئذ واهية» (الحاقة ١٣ الى ١٦).

هذه لمحة خاطفة لهذا اليوم العظيم و فيها الكفاية لمن يعتبر. ثم ماذا بعد هذا الانقلاب في الكون، و بعد هذا الفزع العظيم ؟! انه السكون و الهدوء، انه الانتظار، انه الخشوع و الخضوع:

«وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما» (طه ١١١).

و اتباع الداعي للعرض على الله و المساءلة:

«يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له و خشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا» (طه ١٠٨).

وقد فرق بين الناس، المؤمنين في جانب، و غيرهم في جانب.

«وامتازوا اليوم ايها المجرمون» (يس ٥٩).

فقد جاء امر ربك، و الملائكة وقوفا لايتكلمون، و جيء بجهنم و لها تغيض و زفير:

«كلا اذا دكت الارض دكا دكا. وجاء ربك والملك صفا صفا. و جيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى» (الفجر ٢١، ٢٢، ٢٣).

المؤمنون يوم القيامة

ان الاهوال الشديدة و الفزع الكبير يوم القيامة لايصيب المؤمنين ولا يرهبهم. فهم في مأمن و منجى من كل ذلك.

«وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لايمسهم السوء ولاهم يحزنون».

و يبدل سبحانه خوفهم أمنا و يقيهم شره:

«فوقاهم الله شر ذلك اليوم و لقاهم نضرة و سروراً» (الانسان ١٠).

و يطمئن تلك النفوس الطاهرة بالرضا عنها و يرضيها:

«ياايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي و ادخلي جنتي» (الفجر ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠).

و تتلقاهم الملائكة -عند خروجهم من الاجداث- بالبشرى فلاخوف عليهم ولا حزن:

«لايحزنهم الفزع الاكبر و تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنت توعدون» (الانبياء ١٠٣).

«يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم و بأيمانهم بشراكم اليوم» (الحديد ١٢).

«يا عباد لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون. الذين آمنوا بآياتنا و كانوا مسلمين» (الزخرف ٦٨، ٦٩).

فترى وجوههم مبيضة و السرور باديا عليها و النور يسعى بين ايديهم و كل منهم يحمل كتابه بيمينه فرحا و يقول:

«هاؤم اقرءوا كتابيه.. أني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية». (الحاقة ١٩، ٢٠، ٢١).

«فاما من أوتي كتابه بيمينه. فسوف يحاسب حساب يسيرا. وينقلب الى اهله مسرورا» (الانشقاق ٧، ٨، ٩).

«يوم لا يخزي الله النبي و الذين آمنوا معه...» (التحريم ٨).

«يوم تبيض وجوه و تسود وجوه» (آل عمران ١٠٦).

الكافريوم القيامة

و اما الذين كفروا.. و اما الظالمون.. و اما الذين تكبروا و تجبروا.. و اما الذين انصرفوا الى الملذات و الشهوات و غرتهم الحياة الدنيا و عموا عن ذكر الله و نسوا يوم الحساب، فالويل كل الويل لهم:

«فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم»(مريم ٣٧).

فلنتبين حالهم في ذلك اليوم العظيم.. يوم يبرزون فيه الى الله و الحساب و هم مقرنون بالسلاسل و النار تلتهب في اجسامهم:

«يوم تبدل الارض غير الارض و السماوات وبرزوا لله الواحد القهار. وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد. سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار»(ابراهيم ٤٨، ٤٩، ٥٠).

«... وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ماكانوا يعملون»(سبأ ٣٣).

«خذوه فغلوه. ثم الجحيم صلوه. ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذرعا فاسلكوه. انه كان لا يؤمن بالله العظيم»(الحاقة ٣٠ الى ٣٣).

و يحشرون على اقبح صورة و انتن ريح:

«يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي و الاقدام»(الرحمن ٤١).

«و أتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين»(القصص ٤٢).

يحشرون فرادى وقد تركوا كل شيء ملكوه في الدنيا ـوراء ظهورهمـ من مال وجاه، و جند و حرس، و سطوة و سلطان، فليس لهم صديق و لا شفيع، حفاة عراة، وقد بلغت قلوبهم الحناجر:

«ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم و ما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون»(الانعام ٩٤).

«و انذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع»(غافر ١٨).

يحشرون لاينجيهم مما هم فيه من الخزي و العذاب مال ولا بنون، ولا تقبل منهم فدية، ولو افتدى باقرب الناس اليه الاهل و الولد، و لا تنفعهم شفاعة الشافعين، و ليس لهم ناصر و معين:

«ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا و اولئك هم وقود النار»(آل عمران ١٠).

«ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم ومالهم من ناصرين»(آل عمران ٩١).

«و اتقوا يوماً لاتجزي نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها شفاعة و لايؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون»(البقرة ٤٨).

«... يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه. و صاحبته واخيه. و فصيلته التي تؤويه. ومن في الارض جميعا ثم ينجيه»(المعارج ١١ الى ١٤).

يحشرون عميا و صما و بكما، اذلاء صاغرين، وجوههم مسودة، منكسي الرؤوس من الذلة و العار الذي هم فيه، خاشعة ابصارهم، خائفين وجلين، كأنهم لاقلوب لهم من شدة الخوف و الهلع، و كل منهم مشدود الى شيطانه:

«... ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا»(الاسراء ٩٧).

«اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون»(يس ٦٥).

«و الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون»(يونس ٢٧).

«مهطعين مقنعي رؤوسهم لايرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء»(ابراهيم ٤٣).

«ولوترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم...»(السجدة ١٢).

«قلوب يومئذ واجفة. ابصارها خاشعة»(النازعات ٨، ٩).

«فوربك لنحشرنهم و الشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا»(مريم ٦٨).

يحشرون والحسرة و الاسى يحز في نفوسهم. و الندم باد على وجوههم و يظهر على السنتهم:

«قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء مايزرون»(الانعام ٣١).

«ولو ان لكل نفس ظلمت مافي الارض لافتدت به و اسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لايظلمون»(يونس ٥٤).

لاظلم اليوم

ان ما يصيب الكفار و الظالمين و الفجار من اليم العذاب و شديد النكال، فبما كسبت ايديهم في الحياة الدنيا، والله يجزي كل نفس ما كسبت، و الحسنة يضاعفها و لايضيع اجر العاملين:

«واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون»(البقرة ٢٨١).

«ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه اجرا عظيما»(النساء ٤٠).

«فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى..»(آل عمران ١٩٥).

يومئذ يتفرقون

وبعد ان يقضى بينهم بالحق و العدل يومئذ يتفرقون:

«ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون. فاما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون. واما الذين كفروا و كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون».

فيساق المؤمنون الى الجنة، و يساق غيرهم الى النار، يساق المؤمنون معززين مكرمين جماعات يتلو بعضها بعضا، وتتلقاهم الملائكة ـ الموكلون بالجنة ـ بالتحية و البشرى:

«وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» (الزمر ٧٣).

واما اهل النار فيساقون اليها بعنف، اذلاء صاغرين مقرنين و الملائكة تضرب وجوههم و ادبارهم حتى اذا جاؤوها تلقتهم الملائكة بوجوه مكفهرة و بالانكار و بالبشرى ـ واي بشرى؟ ـ بالخلود في النار!!:

«وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤوها فتحت ابوابها و قال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم و ينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين» (الزمر ٧١).

الجنّة

الجنة لغة: البستان المتكاثفة الاشجار، وقد ورد للجنة -في القرآن الكريم- اسماء عدة منها:

دار السلام.. الفردوس.. دار الخلود.. دار المقامة.. جنات عدن.

الخلود في الجنة

يخلد اهل الجنة فيها، فلا موت، ولا منغصات ولا بؤس ولا مرض ولا هرم:

«لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم»(الدخان ٥٦).

«وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور. الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب»(فاطر ٣٤).

لايسمع منهم الا الكلام الطيب، اخوان متحابون، فلا لغو ولا فحش ولا كذب، ولا بغضاء ولا شحناء ولا حسد، ولا كل ما يعتري اهل الدنيا من السوء:

«وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد»(الحج ٢٤).

«لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا»(النبا ٣٥).

«و نزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين. لا يمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين»(الحجر ٤٧، ٤٨).

ماذا في الجنة

في الجنة مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وكل ما نسمع ويقال عن نعيم الجنة وما فيها من لذة ومتعة، فهي فوق كل ذلك واجل مما نتصوره، واعظم مما نتخيله، والبشر في دار الدنيا لاقدرة لهم على الاستمتاع بذلك النعيم وتلك اللذة ولا طاقة لهم عليه. فاشجارها غير هذه الاشجار، وانهارها غير هذه الانهار. نساؤها الحور العين، وشرابها العسل المصفى، وخمرة لذة للشاربين، دائم نعيمها. ابدي بقاؤها:

«هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب. جنات مفتحة لهم الابواب. متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب. وعندهم قاصرات الطرف اتراب. هذا ما توعدون ليوم الحساب. ان هذا لرزقنا ماله من نفاد»(ص ٤٩-٥٤).

وفي كتاب ربنا الكريم مزيد تفصيل، وما ورد عن نبينا (ص) لنا على ذلك خير دليل:

فعنه (ص) يذكر بعض متع الجنة ونعيمها قال:

«مامن عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند رأسه وعند رجليه اثنتان من الحور العين تغنيانه باحسن صوت سمعه الانس والجن، وليس بمزمار الشيطان، ولكن بتمجيد الله وتقديسه».

وعنه (ص) كان يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الازواج والنعيم، وفي القوم اعرابي فجثا لركبته وقال: يارسول الله هل في الجنة من سماع؟ قال: نعم، يا اعرابي في الجنة نهر حافتاه الابكار من كل بيضاء يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط، فذلك افضل نعيم الجنة».

وورد: «ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس، لوسمعها اهل الدنيا لماتوا طربا».

نعيم الجنة في القرآن الكريم

الرفقة في الجنة

من نعيم الجنة الرفقة الحسنة، رفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين:

«ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا» (النساء ٦٩).

ومن متع الجنة التنازع، يتنازعون بينهم، ولكن لا كتنازع اهل الدنيا، انه نزع مزاح ومتعة، نزاع تلذذ وتفكه:

«يتنازعون فيها كأسا لا لغوفيها ولا تأثيم» (الطور ٢٣).

والاجتماعات واللقاءات بينهم مستمرة دائمة - اذ لاعمل ولا عبادة - وهم يتسامرون ويتحادثون، وقد يذكرون معارفهم في الدنيا، فيقول قائلهم محدثا اصحابه عن جليس له في الدنيا، ولطالما نصحه فلم ينفع فيه ذلك النصح.

«قال قائل منهم اني كان لي قرين. يقول ائنك لمن المصدقين. أاذا متنا وكنا ترابا وعظاما أائنا لمدينون. فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين. ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين».

ويتساءلون بينهم عن المجرمين فاذا هم في النار يصطلون:

«الا اصحاب اليمين. في جنات يتساءلون. عن المجرمين. ماسلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخائضين. وكنا نكذب بيوم الدين» (المدثر ٣٩ الى ٤٦).

طعام اهل الجنة وشرابهم والحور العين

في الجنة من الرزق الكريم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين:

«الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين. ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون. يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون» (الزخرف ٦٩، ٧٠، ٧١).

ولهم فيها مايشاؤون ومايدعون:

«««هم مايشاؤون فيها ولدينا مزيد»(ق ٣٥).

«... والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هوالفضل الكبير»(الشورى ٢٢).

«لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون»(يس ٥٧).

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تعدد انواعاً من الطعام والشراب وتصف النساء في الجنة، واللباس الذي يلبسونه، والحلي التي يحلون بها. نذكر بعضها عسى ان ينتفع بها من شاء، ويرغب اليها من اراد، فيعملوا جهدهم للوصول اليها والحصول عليها، والله عنده حسن الثواب:

«... ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب»(آل عمران ١٩٥).

«والسابقون السابقون. اولئك المقربون في جنات النعيم. ثلة من الاولين. وقليل من الآخرين. على سرر موضونة[١] متكئين عليها متقابلين. يطوف عليهم ولدان مخلدون. باكواب واباريق. وكأس من معين[٢]. لايصدعون عنها ولاينزفون[٣]. وفاكهة مما يتخيرون. ولحم طير مما يشتهون. وحور عين. كامثال اللؤلؤ المكنون[٤] جزاء بما كانوا يعملون لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما. الا قيلاً سلاماً سلاما. واصحاب اليمين مااصحاب اليمين في سدر مخضود[٥]. وطلح منضود[٦]. وظل ممدود. وماء مسكوب. وفاكهة كثيرة. لامقطوعة

---

(١) سرر موضونة: اي منسوجة. قيل منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والجواهر.

(٢) كأس من معين: خمرة طاهرة جارية.

(٣) لايصدعون عنها ولا ينزفون: أي لايأخذهم من شرابها صداع ولا تذهب بعقولهم.

(٤) اللؤلؤ المكنون: الدر المصون الذي لم تمسه الايدي.

(٥) سدر مخضود: اي نبق كثر حمله وذهب شوكه.

(٦) طلح منضود: الموز نضد بعضه فوق بعض من عروقه الى افنانه، أي كله ثمر.

ولا ممنوعة. وفرش مرفوعة. انا انشأناهن انشاء. فجعلناهن ابكارا. عربا أترابا[7] »(الواقعة من ١٠ الى ٣٧).

«الا عباد الله المخلصين. اولئك لهم رزق معلوم. فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم. على سرر متقابلين. يطاف عليهم بكأس من معين. بيضاء لذة للشاربين. لافيها غول[8] ولا هم عنها ينزفون. وعندهم قاصرات الطرف عين[9] كأنهن بيض مكنون»(الصافات من ٤٠ الى ٥٠).

«فهو في عيشة راضية. في جنة عالية. قطوفها دانية. كلوواشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية»(الحاقة ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤).

«ان للمتقين مفازا. حدائق واعنابا. وكواعب[10] اترابا. وكأسا دهاقا[11]. لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا. جزاء من ربك عطاء حسابا»(النبأ ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦).

«ان الابرار لفي نعيم، على الارائك ينظرون، تعرف في وجوههم نضرة النعيم. يسقون من رحيق مختوم. ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون»(المطففين ٢٢ الى ٢٦).

«ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون. هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون»(يس ٥٥، ٥٦).

«ولمن خاف مقام ربه جنتان»(الرحمن ٤٦).

«ذواتا افنان»(الرحمن ٤٨).

«فيها عينان تجريان»(الرحمن ٥٠).

---

(٧) عربا اترابا: متحببات الى ازواجهن. اتراب: مستويات في السن اومثل ازواجهن فيه.

(٨) غول: وجع يصيب الرأس اوالبطن من جراء شرب الخمرة في الدنيا.

(٩) قاصرات الطرف عين: أي لايفتحن اعينهن دلالا وغنجا، والعين: واسعات العيون شديدة السواد وشديدة البياض.

(١٠) كواعب اترابا: جواري تكعب ثديهن، مستويات في الخلقة والقامة والصورة والسن.

(١١) كأسا دهاقا: اي مترعة مملوءة ومتتابعة على شاربيها.

«فيها من كل فاكهة زوجان»(الرحمن ٥٢).
«متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنا الجنتين دان[١٢]»(الرحمن ٥٤).
«فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان[١٣]»(الرحمن ٥٦).
«كأنهن الياقوت والمرجان»(الرحمن ٥٨).
«ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا. عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا» (الانسان ٥،٦)
«وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا. ودانية عليهم ضلالها وذللت قطفوها تذليلا. ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا. قوارير من فضة قدروها تقديرا. ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا. عينا فيهاتسمى سلسبيلا. ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا. واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا. ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا»(الانسان من ١٢ الى ٢٢).
«ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير»(الحج ٢٣).

ومن نعيم الجنة هدوء النفس، وراحة البال، وعدم القيل والقال، فلا تعب ولا نصب، ولا فحش في القول ولا ابتذال، وانما سكينة واطمئنان ومحبة ووئام، وتحية وسلام، ولا سأم من الخلود، وهذا ما لم يتوفر لاحد في الدنيا:

(١٢) وجنا الجنتين دان: ثمر اشجارها قريب يمكن ان يجنيه اهل الجنة وقوفا وجلوسا ومتكئين بدون مشقة.

(١٣) لم يطمثهن: لم يطأهن.

«جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير. وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن[١٤] ان ربنا لغفور شكور. الذي احلنا دار المقامة من فضله لايمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب[١٥]»(فاطر ٣٤، ٣٥).

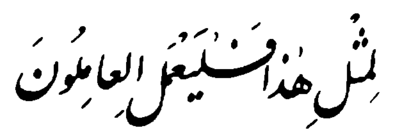
«جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا. لايسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا»(مريم ٦١، ٦٢).

«وجوه يومئذ ناعمة. لسعيها راضية. في جنة عالية. لاتسمع فيها لاغية. فيها عين جارية. فيها سرر مرفوعة. واكواب موضوعة[١٦]. ونمارق[١٧] مصفوفة. وزرابي[١٨] مبثوثة» (الغاشية ٨-٦).

«جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»(الرعد ٢٣، ٢٤).

«ان المتقين في مقام امين. في جنات وعيون. يلبسون من سندس واستبرق متقابلين. كذلك وزوجناهم بحور عين. يدعون فيها بكل فاكهة آمنين. لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم»(الدخان ٥٢-٥٦).

«دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين»(يونس ١٠).



(١٤) الحزن : الهم.

(١٥) لغوب : اعياء.

(١٦) اي موضوعة بين ايديهم.

(١٧) النمارق : المساند.

(١٨) الزرابي : البسط الفاخرة.

النار

للنار اسماء عدة منها: جهنم، سقر، السعير، الجحيم، لظى.

ليس بمقدورنا وصف النار وعذابها الاليم، فاذا يمكن ان يقال عن نار وقودها الناس والحجارة ؟!:

«يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» (التحريم ٥).

ماذا يمكن ان يقال في نار نورها ظلمة ؟! كما ورد في دعاء زين العابدين (ع): «اللهم اني اعوذ بك من نار نورها ظلمة...». فكيف بظلماتها ؟!، نار تغلي كغلي المرجل تكاد تتفجر من شدة الغليان:

«اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور. تكاد تميّز من الغيظ...» (الملك ٧، ٨).

عذاب النار

ان عذابها خالد لاانقضاء له، ولا مفر منه اذا انها محيطة بمن فيها، وقد احصروا مكانا ضيقا، واوصدت عليهم الابواب. قال تعالى:

«يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم» (المائدة ٣٧).

«.. انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها..» (الكهف ٢٩)

«بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا. اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا. واذا القوا منها مكانا ضيقا

مقرنين دعوا هنالك ثبورا»(الفرقان من ١١-١٣).

«انها عليهم مؤصدة. في عمد ممددة»(الهمزة ٨، ٩).

ويأتيهم العذاب من كل مكان من فوقهم ومن تحتهم:

«لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون»(الزمر ١٦).

«يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون»(العنكبوت ٥٥)

وهم فيها مقيدون بالسلاسل والاغلال يجمع فيها بين اعناقهم وايديهم وارجلهم حتى يكونوا كالكرة:

«وكبكبوا فيها هم والغاوون»(الشعراء ٩٤).

فيدافعون العذاب بوجوههم:

«أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون»(الزمر ٢٤).

وانما يقيدون ليزدادوا عذاباً وتنكيلا واهانة فيسحبون بها في النار: **«اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون. في الحميم ثم في النار»**

«انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا»(الانسان ٤).

ومن انواع العذاب، لباس من نار، وضرب بالمقامع والسياط:

«... فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم. يصهر به مافي بطونهم والجلود. ولهم مقامع من حديد»(الحج ١٩، ٢٠، ٢١).

طعام اهل النار وشرابهم

لاهل النار طعام وشراب كما ان لاهل الجنة طعامهم وشرابهم، ولكن شتان بين الطعامين! فطعام اهل النار وشرابهم لايسمن ولا يغني من جوع، طعام

ذوغصة وعذاب اليم ، طعام يقطع الامعاء ويصدع الافئدة والقلوب :

«ان لدينا انكالا وجحيما. وطعاما ذا غصة و عذاباً اليما»(المزمل ١٢، ١٣).

«أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم. انا جعلناها فتنة للظالمين. انها شجرة تخرج في اصل الجحيم. طلعها كأنه رؤوس الشياطين. فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون»(الصافات ٦٢ الى ٦٦).

والزقوم شجرة في النار يقتاتها اهل النار لها ثمرة خشنة الملمس، نتنة الرائحة، وشبه طلعها برؤوس الشياطين، لشدة قبح منظره.

وجاء في التفسير: ان الله تعالى يجوع اهل النار حتى ينسوا عذاب النار من شدة الجوع فيصرخون الى مالك ـ الملك الموكل بالنار ـ فيحملهم الى تلك الشجرة فيأكلون منها فتغلي بطونهم كغلي الحميم، فيستسقون فيسقون من الماء الحار الذي بلغ نهايته في الحرارة فاذا قربوه من وجوههم شوت وجوههم فذلك قوله تعالى :

«.. وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا»(الكهف ٢٩).

فاذا وصل الى بطونهم صهر مافي بطونهم :

«يصهر به ما في بطونهم والجلود»(الحج ٢٠).

فذلك طعامهم وشرابهم.. انتهى».

«ثم انكم ايها الضالون المكذبون. لآكلون من شجر من زقوم. فمالئون منها البطون. فشاربون عليه من الحميم. فشاربون شرب الهيم. هذا نزلهم يوم الدين»(الواقعة من ٥١-٥٦).

«وجوه يومئذ خاشعة. عاملة ناصبة. تصلى ناراً حامية. تسقى من عين آنية. ليس لهم طعام الا من ضريع[٢]. لايسمن ولايغني من جوع»(الغاشية ٢-٨).

---

(٢) ضريع : طعام يشبه الشوك ، أمر من الصبر، وانتن من الجيفة، واشد حرا من النار.

«واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد. من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد[3] يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت ومن ورائه عذاب غليظ» (ابراهيم ١٥-١٧)
«لايذوقون فيها بردا ولا شرابا. الا حميا وغساقا[4] »(النبأ ٢٤، ٢٥).

لاموت اليوم

بعد هذه النار، وهذا العذاب، الا يموت فيها اهلها؟ كلا فانه لا انقضاء لعذابها ولا انقطاع. ولا تخفيف لآلامها:

«والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها» (فاطر ٣٦).

ولا موت وانما هم لا الى الموت ولا الى الحياة:

«فذكر ان نفعت الذكرى. سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى. الذي يصلى النار الكبرى. ثم لايموت فيها ولا يحيى» (الاعلى من ٩-١٣).

وكلما نضجت الجلود استبدلت بغيرها.

«ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما» (النساء ٥٦).

فاذا لم يمت اصحاب النار، الا يخفف عنهم العذاب؟ لنسمع الجواب:

«وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال» (غافر ٤٩، ٥٠).

«ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون» (الزخرف ٧٧).

«اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون» (البقرة ٨٦).

(٣-٤) ماء يسيل من فروج الزناة في النار من القيح والدم.

«خالدين فيها لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون»(البقرة ١٦٢).

«والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور»(فاطر ٣٦).

ومن وراء ذلك كله الخزي -امام الخلائق- الذي هواشد انواع العذاب :

«ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار»(آل عمران ١٩٢).

لايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة

أصحاب الجنة هم الفائزون

قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون

صدق الله العلي العظيم

الفهرست

من الكتاب

«...... وفي عصرنا هذا - عصر العلم والمخترعات - حيث اغتر فيه الانسان بما توصل اليه من علوم و «تكنولوجيا» حديثة متطورة، وانغماس في المادة الى الاذقان، وبعده عن عصر الرسالات السماوية. كل هذه الاسباب جعلته يبتعد عن الله، اضف الى ذلك ظهور الافكار الالحادية، والفلسفات الوجودية، فهو بحاجة الى آيات تناسب الحالة التي عليها.

فقد اظهر تعالى آياته من خلال هذه العلوم ومن خلال مكونات المادة نفسها، وحتى من خلال اضطراب الافكار الالحادية، وتخبط الفلسفات الوجودية ليكون لله المثل الاعلى، وتكون كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى ......».

الطبعة الرابعة

